شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية
العدد (٦) ١٥/٤/٢٠٠٣

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سِفرُ الوجودِ و معهدُ الآثارِ

- السلفيون: متسامحون مع السلطة.. متشيطنون ضد الجمهور
- هيبة الدولة السعودية المضاعة
- (الحجاز) المخيف والمخيفة
- إحتمال الإصلاح، والديكتاتورية قاتلة للنظام
- السعودية ومخاوف ما بعد الحرب

بعد سقوط صدّام
هل السعودية هدف أميركا القادم؟



ليس بالإعلام والعلاقات العامة تُنقذ الدولة

الأمير تركي الفيصل وعقدة الذنب السبتمبري

في هذا العدد

هيبة الدولة المضاعة

كيف تخلق الدولة هيبتها ومتى تفقدها، مسألتان تبعثان بصورة مستمرة قلقاً دائماً لدى القائمين عليها. عاملان رئيسيان من شأنهما تخليق هذه الهيبة: الأداء والقوة.

الدولة المتقدمة تحقق هيبتها من الانجاز الذي تحققه على الأرض وأمام مواطنيها أي من مستوى التفوق التكنولوجي والتطور الاقتصادي ومستويات المعيشة المتقدمة. وهذه الدولة غالباً ما تكون منتج أمّة، أي أنها قائمة على أساس توافق جماعي ومنافسة سلمية بين مجموعة أحزاب على السلطة تحرص على إتقان أدائها من أجل إقناع ناخبيها بأهليتها السياسية. فالقاطنون بداخل هذه الدولة يلمسون هيبتها في ما توفّره لهم من حقائق وتجسّده من إنجازات ممثلة في مشاريع تنموية وفرص حياة متساوية ومستويات معيشية مرضية وهكذا الشعور بالأمن والاطمئنان ومشاركة في القرار السياسي. فالهيبة في هذه الحالة لم تكن ناشئة عن احتكاك مباشر بين الحاكم والمحكوم، بل هي نتاج مجموعة منجزات مادية قامت بها الدولة لصالح المحكومين، بحيث تصبح هذه المنجزات الشهادة العلنية للحكومة أمام مواطنيها. الهيبة هنا ليست مفروضة بقوة السلاح بل بقوة الانجاز، ولذلك فهي هيبة طوعية تتولد من شعور داخلي لدى المواطن دون تدخل من الدولة نفسها، وهنا يكمن سر الولاء الحقيقي للدولة.

أما الدول غير القائمة على أساس تعاقدي، أي بكلمات أخرى ليس على أساس تراضي وتوافق بين الحاكم والمحكومين، وإنما عبر اللجوء الى القوة العسكرية الباطشة، فإن الحال يختلف من حيث هيبة الدولة المصنّعة، فهي هيبة تتغذى على مشاعر من نوع مختلف لدى السكان، وهي في النهاية هيبة غير حقيقية كما أن الولاء الناتج عنها هو الآخر ليس ولاءً حقيقياً.

استعمال البطش والقوة القاهرة في فرض سلطان الدولة على الرعايا يسهم في تخليق هيبة تستمد من قدرة الدولة على إخضاع الأفراد تحت تأثير استعمال القوة أو التهديد بإستعمالها. يروي مناضلو الستينيات والسبعينيات قصصاً في القمع خلال عهد الملك فيصل، حيث أسرفت أجهزة الأمن في البطش ضد المناضلين والشرفاء من دعاة الإصلاح السياسي سجناً وتعذيباً جسدياً ونفسياً وقتلاً، حتى استعار بعضهم المقارنة الشعبية الساخرة المعقودة بين رؤوساء مصر، فقالوا عن الملك فيصل بأن "من لم يقتل في عهده فلن يقتل".

وحين دخل المال كعنصر جديد في معادلة الحاكم والمحكوم، أصبح للدولة خياران: العصا والجزرة. فمنذ الطفرة النفطية أصبح للدولة قدرة على المناورة في إخضاع رعاياها تحت هيبة الدولة تارة بشراء الذمم عن طريق "الشرهات" وتقديم التسهيلات المالية والخدمية، وتارة بكسر إرادة الخصوم عن طريق وسائل القهر الغاشمة والقبضة الحديدية. هاتان القوتان، أي العصا والجزرة حققتا مجتمعتين أو منفردتين هيبة غير طوعية، وإنما هيبة موصولة بشيء في الخارج سواء عن طريق كمية المال المدفوعة أو جرعة القمع المستعملة. ولذلك فالهيبة المنتجة من هاتين القوتين هي هيبة قهرية لا تمتد في وجدان المواطنين ومشاعرهم، وهنا أيضاً يكمن سر الولاء المفتعل للدولة.

ولكن هيبة الدولة السعودية هذه إصطدمت بتحديين خطيرين، موجّهين في جوهرهما لمكوّنيها الاساسيين: العصا والجزرة. التحدي الأول بدأ مع انهيار الدولة الريعية عام ١٩٨٢ حين سجّلت الموازنات السنوية عجزاً وديناً تراكم بمرور السنوات وصل حتى الآن الى ما يربو على ٧٠٠ بليون ريال سعودي، ونجم في الحاصل النهائي عن إنهيار نظام الرعاية ممثلاً في الخدمات الصحية والاجتماعية وأزمات في التعليم والوظائف. إنهيار نظام الرعاية في هذه الدولة لم يكن يعني سوى إنهياراً لأحد ركني الهيبة، بالنظر الى أن هذه الدولة لم تخترق الجهاز العاطفي لدى السكان ولم تتحوّل الى جزءٍ من تكوينهم الثقافي والحضاري، كيما يغفر لها حال نضوب المال. فالهيبة التي صنعها الرفاه قد تقوّضت الى حد كبير إذ فشلت الدولة في أداء الحدود الدنيا من وظائفها من خلال عجزها عن تلبية الحاجات الأساسية لمواطنيها.

التحدي الآخر، هو القوة الأمنية، المتظافرة مع تدفق المال بكميات قادرة على تأجيل لحظة إنفجار السخط الشعبي، ولكن ما جرى أن إنهيار نظام الرعاية أدى الى إرتخاء القبضة الأمنية، حيث تمزقت شبكة الولاءات ولم يعد للقوة دور في ضبط الأوضاع الداخلية. فخلال السنوات الخمس الماضية إنفرطت عرى الأمن ولم تعد الذراع الأمنية، التي كانت الدولة تتوعد خصومها بها، طويلة بالقدر الذي يحول دون وقوع حوادث أمنية متواترة، وفقدت الأجهزة الأمنية سرعة الوصول الى مسرح الاضطرابات فور وقوعها، كما جرى في سرقة البنوك المسلحة والمتكررة، فضلاً عن الحوادث شبه اليومية ذات الطابع العنفي المسلح في الرياض العاصمة.

ثمة نتيجة واحدة تؤكدها تلك الحوادث الامنية المتوالية والمتصاعدة بوتائر مقلقة وهي أن هيبة الدولة قد سقطت في نظر الضالعين في حوادث مخلّة بالنظام الأمني، ولم تعد تحذيرات وزير الداخلية ولا أجهزته الأمنية تحمل جرعة ردع كافية تحول دون تفجر تلك الحوادث.

وبلا ريب فإن هيبة الدولة السعودية تضاءلت الى حد كبير، لأن تلك الهيبة لم تتأسس بصورة صحيحة، وإنما ظلت مرتبطة بتأثيرات عوامل خارجية إما المال أو القوة القاهرة، وخصوصاً في دولة ليست مكتملة التكوين أي في دولة لم تولد من تظافر قناعات، ولم تكن تجسيداً سياسياً للأمة التي تقف وراءها، وحين تضمحل هيبة الدولة تتقلص المسافة بين مولدها وزوالها.

رؤية

السلفيون:

متسامحون مع السلطة.. متشيطنون ضد الجمهور!

لقد نجحت الدولة في توليد حليف ديني قادرة على صياغته وتكييف أهدافه واستراتيجياته وخصوماته بالطريقة التي تصبّ في خدمتها في نهاية المطاف. لقد قيل عن عبد العزيز ودوره في صناعة الاخوان بأنه أوجد 'عفريتاً إسمه الاخوان' ليصب جام غضبه على أعدائه ويخيف بهم خصومه، وأن يضربوا صفحاً عن آثامه الدينية والسياسية. وقد فرضت الحكومة على حليفها الديني مساحة من المرونة واسعة بحيث تسمح للرموز الدينيين بتوفير غطاء شرعي ومسوّغ ديني لممارسات السلطة.

لقد استطاعت الحكومة إقناع حليفها الديني بأن يتحمل منها ما لا يتحمله من الجمهور، فأقنعها بحقه في البقاء مع ذنوبه العظام وخروجه أحياناً على المبادىء الأساسية لمعتقدات المذهب، بينما لم يتحمل هذا الحليف من الجمهور غير المتوافق معه في المذهب مجرد الاختلاف معه في بعض مجتهداته، بل شحنته الحكومة بكل مبررات التطرف ضد المخالفين له.

لقد تواطأ الحليفان السياسي والديني على مبادىء مشتركة، وأقنع أهل الحكم حليفهم الديني وبالاستناد على سلسلة روايات حول 'الأمير' بأن بقاءه أمان من الفتنة ومن النار أيضاً، تأسيساً على عقيدة تقول بأن وحدة السلطة تكفل حماية المعتقد واستتبابه وسط الأتباع، فيما لم يتحدث أهل الحكم وهم في مسعاهم لزرع قناعة من نوع ما لدى حليفهم الديني عن الكلفة السياسية التي يجب دفعها لهذا الحليف، لا سيما فيما يتصل منها بتقاسم السلطة، بل التأكيد ينحصر غالباً في دور الحليف الديني في توفير غطاء المشروعية الضروري لأهل الحكم. خارج هذا التعاقد المقدّس هناك نزوع متزايد لدى أهل الحكم الى شيطنة الشريك الديني وإطلاقه وسط عموم الناس كيما يفرغ هوسه وهواجسه

> **لدى الحكومة قدرة متميزة على شيطنة شريكها الديني ضد الجمهور ولكنها تحقنه بالمسكنات حتى لا يقدّم موقفاً مخالفاً منها**

الأيديولوجية بمشاعر منفلتة من عقالها. هذا الحليف المشحون بطاقة دينية عالية التوتر، يكاد من فرط تسامحه إزاء نكبات أهل الحكم أنه لم يعد يدرك خطورة المأزق الذي وقع فيه، بما يزيد في قناعة الكثيرين بأن هذا الحليف ليس سوى أداة تطلقها الحكومة ضد جمهور الناس. فشيطنة الحليف الديني كما تظهر في ملاحقات رجال الهيئة لعورات الناس وعثراتهم، وهجوم خطباء المساجد المهووسين على معتقدات الناس، والصلافة المستحكمة في مسالك قضاة المحاكم الشرعية والدعاة تكاد تكون جميعها موظّفة لقهر الناس وقمعهم، وقبل كل شيء إفتعال معركة جانبية بين الحليف الديني والجمهور حتى لا يفيق هذا الحليف على سوءات الحكومة.

لقد قدّمت الدولة رعاياها فدية لحليفها الديني كي يفرغ فيها تطرفه.. وهي تؤدي به فرائض الدعوة والارشاد وإن تطلب من هذا الحليف الاصطدام بجمهوره و'تكريهه' للحكم الذي ورد على الناس بحكم 'الخروج من الملة.' وعليه فالواجب يملي على الدولة أن تعيد بكل الوسائل الممكنة من خرج ليفيء الى أمر الله الذي نزل للأمراء

> **الحليف الديني يفتقر الى الوعي السياسي الذي يؤهله للدخول في معادلة الشراكة بما يحول دون ابتزازه من قبل الحليف السياسي**

ومنهم إختار الله كي يحملوا أمانة الدعوة اليه.

نظرة الحليف الديني الى الحكومة تكاد تقف على طرف نقيض مع نظرة هذا الحليف الديني الى عامة الناس، وهكذا تباين سلوكه مع كل منهما. نظرة متسامحة ذرائعية تسوّغ للحكومة العظيم من إرتاكاباتها وتعبّر الجسيم من ورطها، بناءً على مقتضى المصالح المتبادلة بين الشريكين: الديني والسياسي، وبما يوفره الديني من شرعية للسياسي وما يوفره الاخير من حماية للديني.

ما يجدر الالتفات اليه، أن السياسي كان على الدوام أكفأ من الديني على الاستغلال، وذلك لا لكون السياسي يمسك بخيوط اللعبة كاملة، ويملك من أدوات القهر والغلبة والترغيب ما لا يملك حليفه الديني، بل لأن الأخير يفتقر الى الوعي السياسي الذي يؤهله للدخول في معادلة الشراكة بما يحول دون ابتزازه من قبل السياسي. ما يظهر منذ نشأة الدولة السعودية وحتى الآن، أن هناك قدرة متميزة لدى الحكومة على توجيه دفة تطرف شريكها الديني، وكانت دائماً بارعة في شيطنته مقابل الجمهور، في مقابل حقنه بكمية هائلة بالمسكنات حين يراد منه أن يقدّم موقفاً منها.

الحكومة لا تعدم وسائل الإقناع حين تغرس في حليفها الديني بذرة التسامح، فهناك في تراث المذهب ما يكفي من أحاديث وحوادث تملي على أفراد هذا الشريك تقديم فروض الطاعة لمن تكفّل حفظ النظام وتوفير الحماية لكتائب الدعاة. فالجو الديني المشحون بالرعب والنذير من الخروج على الحاكم يجهض مجرد التفكير في مناوئته، سيما حين يوضع في سياق الفتنة التي يحدثها زواله وحسب الحديث 'سلطان غشوم خير من فتنة تدوم' وأن البيعة عقد مقدس 'ومن مات وليس في رقبته بيعة، مات ميتة جاهلية.'

في المقابل، تتعمد الحكومة ـ كما هو ظاهر ـ إغفال السلوك المتشدد لدى حليفها الديني إزاء جمهور الناس، فثمة خطاب ديني منقسم على نفسه لدى هذا الحليف، جزء منه يعضد السلطة ويسوّغ أخطائها ويغتفر منها ما لاتغتفره من الناس العاديين. وعادة ما يلقى باللوم على الحليف الديني وتشدده إذا ما حوصر أقطاب النظام، ولكنهم يدركون بأن تشدد الحليف الديني ناجم في الأساس على ترجيح الفكر المتطرف من التراث الديني، وهو الجزء الذي تعزف عليه السلطة معزوفتها وتستخدمه لشيطنة حليفها.

ثمة مؤاخذة رئيسية يحملها كثير من المراقبين المحليين والأجانب حول جديّة الصرامة العقدية التي يبديها أفراد الحليف الديني، وتالياً مبدئية موقفه، وهذه المؤاخذة تستند على إزدواجية الموقف والسلوك الدينيين من الحكومة والناس.

في تحليل الوظيفة الدينية ـ السياسية للحليف الديني يمكن القول بأن نشأة هذا الحليف جاءت لشرعنة السياسي وتبرير سلوكه، في مقابل ردع الجمهور وتصحيح سلوكه إزاء السياسي، فالديني له دور محدد وهو حشد الجمهور خلف السياسي، وإن بلغ من بواح كبائره ما يطيح بمصداقية الديني. أما الشق الثاني من هذا الدور حيال الجمهور فهو يتطلب من هذا الحليف إسدال ستار الدين على إخفاقات الحكومة وفسادها، أو تبريرها.

لو أرادت السلطة السياسية ترشيد حليفها الديني كما فعلت ذلك لنفسها، لنجحت في ذلك بعد مضي سبعين عاماً على قيام الدولة، ولكان العائلة المالكة لم تفعل ذلك، وهي ليست راغبة في ذلك، ولا أدلّ على هذا، أن الحليف الديني المتشيطن يزداد تشيطناً، ويزداد قوّة تمنحه إياها العائلة المالكة نفسها، وتزداد فتاوى التكفير، ويزداد الشق الإجتماعي، وتلتهب العواطف الدينية والمناطقية بسببه.

العائلة المالكة تقتات على انقسام السكان لكي تحمي سلطتها وتبقيها موحّدة باستخدامها البارع في شيطنة حليفها الديني كلما احتاجت إليه في معاركها الداخلية، أو الخارجية. لكن هذه السياسة لا تظهر نتائجها إلا وقت المحنة التي تصيب الدولة وحينها يكتشف الأمراء أن زراعتهم قد أفضت الى هشيم تذروه الرياح، فقد تتفكك الدولة الى دويلات، وقد تنهار العائلة المالكة في ردّة فعل من السكان على سياساتها وسياسات شيطانها الديني.

الثقافة الإنتقائية المأزومة

أزمة المملكة سياسية وثقافية. فهي منذ نشأتها اعتمدت على ثقافة ممزقة للنسيج الإجتماعي والمشتركات الثقافية والمصلحية، وبصورة أدق وأصحّ، فإن الثقافة المعتمدة والسياسة الحكومية المنتهجة زادت من الشقّ باعتبار ان الدولة في بذورها ومكوناتها قامت بصورة انشقاقية عصبوية غلبوية. والثقافة السائدة اليوم لا تسمح بالتلاقي ولا تميل الى الإئتلاف، يعضدها في ذلك سياسة الحكومة التي استخدمت التعليم الإعلام ووسائط التثقيف الجماهيري الأخرى في تأجيج العداء للآخر الوطني والأجنبي على حد سواء، او على الإحتكار لفكر ورؤى محددة، ويكفي مشاهدة التلفاز السعودي لنكتشف أي نمط ثقافي أحادي تجزيئي يجري تبنّيه.

السياسة في المملكة لم تمل يوماً الى (الدمج) الوطني بقدر ما كانت ولاتزال تعتمد نهج الإقصاء للمختلف فكراً وسياسة سواء بالنسبة للمجموعات أو الأفراد. وأسهل الأمور التي تقوم بها: العقاب، والفصل من الوظيفة، والحرمان من التعبير داخلياً، والإيذاء في حال التعبير خارج الحدود.

حروب الإنترنت المذهبية قائمة على قدم وساق، والنظرة النمطية للآخر تجعل الجميع يعيش التاريخ وينتظر تكرار تجاربه. ورغم صدمة الحرب ضد العراق، فإن الحسّ الطائفي يرتفع عالياً، فـ "أحفاد العلقمي وعبد الله بن سبأ" يتآمرون مع المستعمر واليهود ضد "المسلمين" والدعاء الأثير هو أن يمحي الله شيعة العراق على يد الأميركان أو أن يفتك الكفار بعضهم ببعض. ومع أن الحسّ الداخلي لدى المتطرفين يجابه في أحيان كثيرة بمواقف لا تتساوق مع الرؤية العقدية النمطية، فإن تفسيرات أخرى تظهر لتخفف من وقع اهتزاز التنميط.

في الطرف الآخر تأتي ثقافة رد الفعل المذهبية أيضاً، لتتهم "أبناء مسيلمة الكذاب" و "نبيتهم سجاح" بذات التهم التي توجّه إليهم؛ فهم من يعين المستعمر على غزو ديار المسلمين، وهم أعداء الإسلام وعملاء الأجانب (خاصة الأميركان) في كل مكان وزمان.

تميل الثقافة المأزومة الى الإنتقائية حتى تتمكن من فرض النمطية. فالنمطية الثقافية هي انتقائية في جذورها، لا ترى في التراث إلاّ الجانب الشقاقي منه، ولا تعترف بالواقع إلا بما يخدم استمرار التنميط ضد الآخر.

سيادة النمطية على الثقافة العامّة يجعلها عرضة للإبتزاز السياسي السهل من قبل النظام السياسي السعودي القائم؛ إنها الصيد السهل الذي يحرف اتجاهات الجمهور السياسية والنفسية الى مواضيع شديدة التوتر والحساسية. ولأن الحسّ الطائفي والمناطقي لا يخبو بفعل التيار السلفي الذي تعهد منذ نشأته بإضافة الوقود إليه كلما خبا ليستعر ويزداد لهيباً، فإن الواضح الآن بأنه مادّة السلطة في تغطية مواضيع أكثر حساسية وإقلاقاً. لنأخذ مثلاً موضوع الإصلاح السياسي، فالحسّ الطائفي السلفي يجعله غير ميّال إليه، فبمجرد أن تلمح السلطة الى أن الإصلاح في النهاية يؤدي الى إعطاء حصّة للحجازيين والشيعة وغيرهم من الفئات المضطهدة والمحرومة في الشمال والجنوب، يتدافع غلاة الطائفية للإصطفاف مع آل سعود ويرفضونه كما رأينا موقفهم هذا من (الوثيقة الوطنية للإصلاح).

والآن ونحن نعيش الحرب على العراق، وحيث تريد الحكومة هدوءً سلفياً تخرج منه بأقل الخسائر ـ كما يصرح المسؤولون ـ وحتى تتمكن من الإلتفاف على مطالب الإصلاح السياسي.. نجحت السلطة في استثمار الحس الطائفي في تعزيز الإلتحام السلفي معها، رغم انكشاف تواطؤ الأمراء مع الحرب الأميركية. فظهر وكأن نهاية الرئيس العراقي هزيمة طائفية للمذهب الوهابي، وتقوية لأعدائه في الداخل. نشير هنا الى أن التلفزيون السعودي يبدو في بعض الأحيان وكأنه يدخل الحرب الى جانب العراق، حتى أنك لا تكاد تفرق بينه وبين محطات فضائية أخرى معروفة من حيث التحريض ضد الأميركيين وضد الحرب. وهكذا فإن الثقافة النمطية سهلة الإستغلال وهي الصيد الرخيص لتحريف أهداف الجمهور عن قضاياه الكبرى في الإصلاح ومكافحة الفساد والإستبداد.

الفساد بشتى أشكاله ينخر في الدولة، ويحرم مواطنينا من حاجاتهم الأولية.. وفيما الإستبداد يضرب أطنابه حولنا في ظل تعنّت ورفض من رموز العائلة المالكة، وفيما الحرب وآثاره قادمة إلينا، والمستقبل لا قدرة لنا على اكتناهه.. تقودنا الثقافة المأزومة والنمطية الى هاوية التخلف والتشرذم.

هنيئاً لكم بالوحدة جميعاً!

موضوع الغلاف

حملة إعلامية مدفوعة بمشاعر الذنب السبتمبري

تركي الفيصل يكرر خطاب المستبدين

كنا نعتقد بأن السفير السعودي في لندن الأمير تركي الفيصل قد قرأ تجربة من سبقه في 'تسويق' حكومته في الغرب، وبخاصة حين يتعلق الأمر بموضوعات مثيرة للجدل في بلادنا، ولكنها باتت في حكم المسلمات في عالم الغرب، كما في مثال الديمقراطية. فقبل عشرين عاماً كان الجدل حول مواءمة الاسلام والديمقراطية يعتبر مقبولاً الى حد ما في الفضاء الفكري الاسلامي، بناءً على المساحات المفتوحة لكل منهما في سياق الجدل المفهومي حول الاسلام والديمقراطية. الا أن اللجوء مجدداً الى مفردات لغة الجدل القديمة في تبرير نظام توليتاري شمولي في بلادنا يعتبر معيباً ومثيراً للسخرية في وقت واحد، وبخاصة حين يوضع في لغة دينية مدقعة.

منذ وصوله الى لندن والأمير تركي الفيصل يخوض غمار حملة إعلامية مدفوعة بمشاعر الذنب السبتمبري، الذي يمثل الأمير نفسه أحد ضحاياه، من أجل إعادة رسم صورة المملكة في الخارج وخصوصاً في المناطق التي تشوّهت فيها هذه الصورة مثل لندن وواشنطن. فمهمة الأمير كما يشرحها في ندوة دعائية موّلتها الحكومة وبرعاية وزارة التعليم العالي في السعودية تنطلق من الشعور بضرورة تصعيد مستوى الدفاع عن سمعة حكومته. يقول السفير الأمير 'نحن في المملكة قصرنا في شرح أنفسنا للآخرين'، مما ساهم في خلق 'فجوة ثقافية' بين السعودية والغرب. وهو في حديثه عن الفجوة لا ينوي حصر توجيه اللوم في الغرب وحده بل يعتبر أن هذه الفجوة ناجمة ليس عن 'خطأ إرتكبه الاعلام (الغربي) فقط، بل أيضا خطأ المملكة' في التقصير في شرح قيمها ونظامها وثقافتها. والخطأ كما يشرحه الأمير بصورة مكثفة أن 'المملكة صارت مجتمعاً أكثر إنفتاحا مما مضى' في اعقاب احداث الحادي عشر من سبتمبر.

> **الأمير تركي مسكون بهواجس أمنية يخاطب الغرب وكأنه جمهور أنصار طالبان أو كمتعاطفين في شبه القارة الهندية**

ما يثير في لغة السفير الأمير أنها تتسم بالطلاقة ولكنها ضحلة وضعيفة الحجة، وهي لغة دفاعية تبريرية ولكنها ليست مقنعة، ولعل تشابك الأدوار الذي لم يحسم بعد بين السفارة والاستخبارات يحول دون بلورة مواقف صالحة للمكان الذي تنطلق فيه هذه التصريحات. علاوة على ذلك، فإن الأمير الذي يتحدث الانجليزية بطلاقة مازال مسكوناً بهواجس المهمة الأمنية السابقة وكأنه يخاطب جمهوراً من أنصار حكومة طالبان أو جمهوراً من المتعاطفين مع بلاده في شبه القارة الهندية. كان السفير السابق الدكتور غازي القصيبي (الوزير حالياً) أكثر إتقاناً ودراية لعقل الغرب ولغته بل ولغة العصر، فرغم حرصه على 'تلميع' صورة المملكة في الغرب الا أنه لم ينزلق الى مستوى الإسفاف في استعمال لغة دفاعية بالية ومستهلكة منذ زمن بعيد.

الأمير تركي الفيصل بتجربته الأمنية الطويلة والمهجوس بتورطه في دعم المتهمين في هجمات سبتمبر، يسعى الى قلب الصورة التي تكاد تفرض نفسها على الاعلام الغربي بكون السعودية أحد المراكز الكبرى لتصدير التطرف والإرهاب، وأنها البلد الأشد انغلاقاً على العالم الخارجي. هذه الصورة كان الأمير نفسه أحد المساهمين في رسمها عن بلده يوم كان يدير جهاز الاستخبارات الخارجية ويقدّم الدعم لجماعات أفغانية وعربية متشددة.

في سياق هذه الأجواء الملبّدة حول المملكة، يتصدى السفير والأمير تركي لترميم صورة بلاده. في تعقيب للأمير تركي على مداخلات مؤتمر 'السعودية والغرب: أثر ١١ سبتمبر' الذي نظمه 'معهد الدراسات العربية والاسلامية' التابع لجامعة اكستر بجنوب غربي انجلترا بالتعاون مع وزارة التعليم السعودية في مارس الماضي جاء بأن 'المملكة صارت اكثر انفتاحا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (ايلول) ٢٠٠١ التي دفعت الولايات المتحدة الى مزيد من الانغلاق على نفسها'.

وحول الإصلاح السياسي زعم تركي بـ 'أن المملكة حريصة على اجراء اصلاحات ضرورية نابعة من الداخل' مشدداً على 'أن القيادة السعودية كانت دوما في مقدمة العاملين على تطبيق هذه الاصلاحات.' ثم عاد الأمير وكرر ما سبق وأشار اليه في ندوات سابقة بأن 'الاصلاح في المملكة ليس خياراً، بل ضرورة لا بد منها.' وأردف أن 'القيادة السعودية كانت دوما في طليعة الحريصين على إجراء هذا الاصلاح.'

كنا نتوقع بأن الأمير يملك حافظة قوية بما لا توقعه في تناقضات صريحة ليس بين ما قاله في هذه الندوة وندوة أخرى سابقة، بل يكاد

> **الاصلاح السياسي مصطلح يخضع لتفسيرات مفتوحة تسهّل على الأمراء الهروب من المسؤولية والمحاسبة والإستحقاقات**

يناقض نفسه في الندوة الواحدة. فالإصلاح السياسي في السعودية يخضع دائماً لشروط ومواصفات خاصة، ومع ذلك فهو ـ الاصلاح السياسي يمثل لدى الأمير ضرورة وليس خياراً، ويتم دائماً وفق إرادة عليا، وليس إرادة الشعب المعني بالإصلاح، ومع ذلك فإن القيادة السعودية أو بصورة دقيقة العائلة المالكة وعلى رأسها الملك هي دائماً مفتونة بالإصلاح.

ثمة ما يدفع لاستجلاء موقف الأمير تركي الفيصل من الاصلاح السياسي، خصوصاً وأن هذا المصطلح يخضع لتفسيرات مفتوحة قد تسهّل على الأمير كما العائلة المالكة الهروب من المسؤولية دون أن تخلّف وراءها دليل إدانة.

في ٢٣ فبراير الماضي كان السفير الأمير على موعد مع الجمهور الغربي في مقابلة إذاعية مباشرة مع راديو بي بي سي وورلد سيرفيس. طرح المذيع في المحطة سؤالاً حول تصريح لأخيه الامير سعود الفيصل وزير الخارجية حول الديمقراطية وكونها غير متوائمة مع الاسلام، فأراد السفير الأمير توضيح مضمون التصريح المثير للجدل، فقدّم تفسيراً ساذجاً للتعارض الموهوم بين الديمقراطية والاسلام، حيث إعتبر بأن الديمقراطية تتعارض مع سيادة الله في الشريعة وهذا ما يجعلها بالضرورة متعارضة مع الاسلام. ولسنا بحاجة للقول بان هذه التوضيحات الساذجة تكشف عن أن الأمير مازال يتغذى على مواد ثقافية قد إنتهت صلاحيتها منذ زمن بعيد.

المثير للدهشة، أنه في إستبساله في التشديد

على التعارض بين الاسلام والديمقراطية، تحدث مطوّلاً عن المسيرة الطويلة التي مرّ بها الغرب من زمن ماجنا كارتا حين رفع علية القوم في إنجلترا خطاباً الى الملك يدعوه فيه الى وضع صيغة متطورة للحكم تقلل من احتكارية السلطة في يد الملك وتفتح الطريق أمام أهل الرأي للمشاركة في القرار السياسي للدولة، وحتى الوصول الى الديمقراطية في زماننا الحاضر، تماماً كما هو حديث أخيه وزير الخارجية الامير سعود الفيصل عن تطور القوانين والممارسات في الولايات المتحدة قبل الوصول الى النموذج الحالي من الديمقراطية.
الغريب أن السفير الامير يغفل الفرق بين الرفض المبدئي والتطور الاجتماعي، فهو حين يتحدث عن الديمقراطية في سياق علاقتها المتنافرة مع الاسلام يشدد على التعارض المبدئي بينهما، ولكن حين يتحول النقاش الى إمكانية الوصول الى مرحلة الديمقراطية في بلده يشدد على ضرورة العبور بالمسار التاريخي الذي مرّ به الغرب. هذا الفشل في التفريق بين الرفض المبدئي والتطور الاجتماعي يكاد يعكس نفسه في مواقف الأمير من كافة الموضوعات المطروحة للنقاش. فحين يسأل عن حقوق المرأة يرمي باللائمة على التقاليد الاجتماعية ويبرىء ذمة الإسلام والعائلة المالكة والحكومة، أما بخصوص الديمقراطية فهو يتبنى موقفاً مضاداً بإسم الاسلام والعائلة المالكة. الغريب أن الأمير يرفض إقامة حكومة بديلة في العراق بناءً على أن شكل الحكم هو إختيار شعبي، في حين يدعو وزير الخارجية أو يزعم بأن بلاده لا تمانع من عراق ديمقراطي!
لقد ولدت الإجابات المزدوجة في مسألة الديمقراطية والاسلام سؤالاً مفحماً أثاره المذيع أمام ضيفه السفير قائلاً: كيف تطالب الشعب العراقي بأن يختار حاكمه وأنت ترفض أن يختار الشعب في السعودية حكامهم فيما لو رفضوا العائلة المالكة، فقدم السفير الأمير إجابة في غاية الغرابة والسخرية، حيث قال بأنه قد حصل ورفض الشعب حاكمه في عام ١٩٦٤ وأزال الملك واختار ملكاً آخر هو والده الملك فيصل. فقال المذيع بأن ما تم كان بقرار من العائلة المالكة، ولا دخل للناس في ذلك.

الزعم بأن الديمقراطية تتعارض مع الإسلام يكشف أن الأمير مازال يتغذى على مواد ثقافية إنتهت صلاحيتها منذ زمن بعيد

كانت إجابة السفير مخيّبة ومخالفة للياقة الذهنية وللتاريخ، فالتفسير الذي قدّمه حول عزل عمه لا يحتمل أكثر من معنى واحد، وتكاد المصادر التاريخية قاطبة والأمراء أنفسهم بما في ذلك عمه الأمير طلال بن عبد العزيز أحد أبطال تلك القصة على أن ما جرى كان خارج دائرة السكان، وكان محصوراً في داخل العائلة المالكة وحتى العلماء لم يتم إشراكهم في الصراع الا بما يقوّي جناح فيصل ضد أخيه الملك سعود، بإيعاز من بعض الأمراء.
لغة السفير الأمير الدفاعية تكاد تفقد توازنها في طريقة التعامل مع المسائل ذات الحساسية الخاصة سواء كانت سياسية أوحتى دينية. فقد سأله المذيع عن إمكانية بناء الكنائس في السعودية، أسوة ببناء المساجد في بلدان الغرب، وعن السبب في منع بناء كنائس للمسيحيين العاملين في السعودية، فلجأ الأمير الى أسلوب غريب في التبرير حيث قال بأن الخشية تكمن فيما سيقال في هذه الكنائس عن الاسلام والرسول (ﷺ) بناءً على حادثة منفردة وقعت في الولايات المتحدة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر وتكشف عن رد فعل موتور من ضلوع أناس مسلمين في تلك الهجمة حيث وجّه أحد قساوسة الكنيسة في الولايات المتحدة هجوماً قاسياً على رسول الاسلام (ص) واصفاً إياه بالارهاب. وكان يفترض من الأمير أن يلوذ بلغة أخرى لأنه يعلم تماماً أن المؤسسة الدينية في بلده تتحمل جزءاً هاماً من المسؤولية عما قيل ويقال عن الاسلام بسبب السلوك المتشدد تجاه أتباع الأديان الأخرى.
لا يبدو أن لغة كهذه تبعث على التفاؤل في تطور خطاب سياسي سعودي يستلهم من إخفاقات الماضي ويتطلع الى وضع أسس جديدة للعلاقة ليس بين السعودية والغرب بل بين السلطة والناس الذين مازالوا يأملون بأن تستوعب الحكومة ما يدور حولها من تجارب إنقاذاً لمصيرها.

الإعتزاز الوطني 'السعودي'

عادة ما يتزامن الإعتزاز الوطني بموضوعة (بناء الأمة) حيث تظهر الى السطح مظاهر الإعتزاز بإرث تاريخي، أو إنجاز حضاري، أو نهضة ثقافية، أو إقتصادية. وعادة ما يكون الإعتزاز بالرموز الوطنية من علم ونشيد وطني وجغرافيا الأرض ورموز الثقافة والسياسة منذ أعماق تاريخ الشعب. أيضاً تقوم الثقافة الوطنية بتمجيد المناسبات الوطنية والدينية لخلق حالة من التحشيد الداخلي والإلتفاف الرمزي حول النظام السياسي والدولة وصهر المواطنين في مرجل المصير المشترك والوحدة التي لا فكاك منها.
وقد تغذّي حروب الإستقلال مشاعر الإعتزاز، بحيث يصبح الأخير مصدر توحيد للنفوس والعقول والتوجهات. وفي كثير من الدول تقود عمليّة التحديث الى بروز محاور الإعتزاز الوطني بالذات وبالإرث الجمعي للسكان، ولكنها قد تقود في بعض الأحيان الى عكس النتائج.
هناك أيضاً مقاييس أكاديمية (غربية) أجمالية تقول بأن المتعلّمين أقلّ اعتزازاً بوطنيتهم، وأن الأقلّ تديّناً هم الأقلّ اعتزازاً.. ولكن حين نأتي الى الوضع في المملكة، قضت سياسة السلطتين الرسمية والدينية على منابع الرموز الوطنية، ولم تبقِ سوى رموز العائلة المالكة والفكر السلفي، حتى 'تمجيد' رسول الإسلام صار من المحرمات. كما أن السلفية بطبيعتها ضد 'الترميز' لأي شيء بحجة الشرك والكفر، وهي في عداء مع الإرث الديني المشترك بما يحمله من أمجاد وانتصارات، وخاصة المواقع الأثرية والرموز التاريخية التي قد تكون من مناطق مختلفة، أو هي غير أثيرة دينياً لديها.
يشعر المواطن السعودي اليوم بأن ليس لديه شيء كثير يعتزّ به أو يفتخر.. حتى الوحدة السياسية القائمة لم تعد مصدر اعتزاز، بل هي عند البعض بداية عهد الإذلال والمهانة وفقدان الهوية، وتذكر بالدماء والحزازات وسياسات الفرض ومواطني الدرجات الدنيا. أما المنجزات المادية فتتصاغر يوماً بعد آخر في ظل الأزمات الأقتصادية، خاصة حينما تقارن بمنجزات دول الخليج المجاورة التي قطعت شوطاً متقدماً على السعوديين.. كما وتتصاغر مشاعر الإعتزاز بالنظام السياسي ورموزه وسياساته حتى بالمقارنة مع أقرانه الخليجيين. فقد تورطت السعودية في سياسات مفضوحة اعتبرت عدوانية وتآمرية بنظر الكثيرين على العرب والمسلمين، كما أن رجال الحكم ـ من العجزة والمقعدين والجهلة الذين لا يقدرون على تشكيل جملة صحيحة ـ يتقزمون أمام طموحات الشعب في أن يحكمهم جيل شاب ومتعلم.
كان البعض والى وقت قريب يفخر بأنه يحمل جواز سفر سعودي، واليوم يحاول تجاوز الأزمة بإخفاء هويته، أو ترديد: ليتني كوري شمالي، أو كوري جنوبي!
الشعب الذي يذلّه نظامه السياسي، ولا يشعر بالعزّة الوطنية هو شعب مهدد بالتمزّق الداخلي والإنهيار أمام المواجهة سياسية أو عسكرية.

مقالة

العبقرية الطائفية

الحكومة تعدّ حليفها الديني لمواجهة العراق القادم

الحرب على العراق قرّبت المسافة بين الحكومة وحليفها الديني الوهابي، فالحكومة في هذه الحرب أصبحت قادرة على استثمار الحرب لجهة إثبات جدارتها كخيار لا بديل عنه بالنسبة لهذا الحليف الذي وظف جزءا من خطابه الديني/ السياسي خلال عقد ونصف مضى في نقد الحكومة. فرسالة الأخيرة لهذا الحليف ستكون ـ في الغالب ـ على النحو التالي: إن هجومكم علينا سيفضي الى تقوية خصومكم العقائديين، أي الشيعة المرشح إعتلاؤهم لسدة الحكم خلف التخوم الشمالية لبلادكم. فالعراق المرشح لأن يصبح دولة شيعية سيكون قوياً، فيما تتواصل حملتكم علينا في النقد والهجوم، ولذلك فإن الخيار الضروري والأصلح لكم هو بالتمسك بنا كملجأ سنّي قابل لمواجهة تحديات الخطر الشيعي القادم.

هذه تقريباً فحوى الرسالة التي ستنقلها العائلة المالكة لحليفها الديني، المتهاجس مذهبياً والمنشغل بخصم عقائدي إفتراضي صنعته العائلة المالكة له كيما ينهب إهتمام عامة الناس بمختلف إنتماءاتهم المذهبية والإجتماعية والمناطقية. فالمعركة الطائفية لم يرد منها فقط حصر المتحاربين في فئتين، بل المطلوب منها أيضاً إستدراج الجميع لمعركة الحكومة ضد خصم سياسي محتمل.

الخطر الخارجي المتوهم سيقنع الحليف الديني المتخاصم مع الحكومة بإعادة ترميم وتصليب التحالف بين الطرفين بحجة مقاومة متغيرات الخارج، فالولايات المتحدة الحليف الاستراتيجي للحكومة والذي يدير حرباً على العراق ويمهد السبيل لقيام سلطة أخرى بديلة سيجري استعماله كمادة إقناع للحليف الديني بأن هذا الحليف اللدود ينوي إعادة تشكيل الخارطة السياسية يفقد فيها التيار الديني السلفي قوة تأثيره السابق، كيف وإذا ما وضع بجانب ما جرى توصيفه منذ انتصار الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ بـ 'الخطر الشيعي.'

المسكونون بالهم العقائدي من السهل تجنيدهم في معركة الحكومة القادمة من خلال استثارة النزعة الطائفية. فيجب الاعتراف بعبقرية الحكومة في مجال صناعة المعركة الطائفية، ولعلها أقدر في كل الاحوال على جرّ وإستدراج حليفها الديني الى معركتها من خلال الطعم الطائفي الذي يستهوي أفراد التيار الوهابي.

الحكومة كانت على الدوام تلجأ الى التيار السلفي لضرب خصومها بالسلاح الطائفي، هكذا فعل الملك فيصل مع القوى السياسية الوطنية في الستينيات فهو لم يتردد في إقحام المسألة الطائفية في معركة سياسية محضة، ولم يتردد الحليف الوهابي من ابتلاع هذا الطعم فراح يمارس ما يراه الواجب المنزل عليه من السماء في معاقبة أهل الضلال حتى يعودوا الى جادة الحق ومعدن الصدق.

وحتى إستمالة المترددين من أفراد التيار السلفي كانت تتم عبر إغراءات طائفية أيضاً، فالطاقة الخصامية مع الآخر المختلف التي يختزنها المذهب الوهابي تشجّع الحكومة على توظيفها من أجل حشد أتباع المذهب وتحقيق إصطفاف سياسي واسع النطاق تحت شعار محاربة البدع وأهل الضلال، فكلما أرادت الحكومة إعادة إستقطاب وجذب التيار الوهابي، وهكذا إعادة توثيق الصلة معه، أثارت هواجسه الطائفية وفتحت شهيته الخصامية، وبهذه الطريقة تحصد خصومها بيد حليفها الديني دون أن تترك وراءها أثراً يدل على تورطها في معارك تديرها في الخفاء إن إقتضت الضرورة.

التحوّل السياسي المصاحب للثورة الايرانية عام ١٩٧٩ وتبلور خطاب ديني ثوري منافس للخطاب الديني التقليدي في السعودية أوجد مبرراً قوياً ونشطاً لتعبئة التيار السلفي المتحالف مع السلطة وخوض معركة طائفية مفتوحة مع ايران الشيعية. وقد أفضى ذلك الى تضخم المؤسسة الدينية الى الحدّ الذي فاق قدرة الدولة على السيطرة، وكانت الدولة تزوّد المنغمسين في مشروع الطائفية بالمواد والفتاوى والكتب التي تعينهم على تسخيرها في هذا المشروع. إنخراط المؤسسة الدينية بكافة فروعها ومؤسساتها في معركة طائفية تحصد فيها الحكومة مكاسب سياسية محضة، أدى بصورة تدريجية الى تسميم العلاقة بين سكان السعودية ليس بين أتباع المذهبين الوهابي والشيعي، بل بين كافة المذاهب، مثال ذلك واضح في الكتابات المتوترة طائفياً ضد العلامة الفاضل السيد محمد علوي المالكي التي ظهرت خلال الثمانينيات، العقد الذي إمتاز بكونه من أحلك المراحل التي شهدتها العلاقة بين أتباع المذاهب الاسلامية في السعودية. فالطائفية حين تنشب مخالبها في المجتمع لا تفرّق بين أحد، فالأحكام الصارمة التي أصدرها رموز المذهب الوهابي ضد الشيعة هي ذاتها الأحكام التي صدرت ضد المذهبين الشافعي والمالكي، فكثير من ممارسات أتباع هذه المذاهب في نظر علماء المذهب الوهابي 'بدعية' 'مخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة' وبالتالي 'شركية.'

هذا العقد ـ الثمانينات ـ يمثل من ناحية أخرى عقداً ذهبياً في العلاقة بين الحكومة والتيار الوهابي، وهو عقد انتعاش وانتشار المذهب في الداخل والخارج، وفيه تشكلت أنوية التطرف والعنف. في مواجهة النموذج الديني الثوري الايراني أطلقت الحكومة السعودية العنان للتيار الوهابي كيما يتمدد في أرجاء العالم وأن يكون هدفه تقويض هذا النموذج ونشر 'عقيدة التوحيد' في أوساط المسلمين بما في ذلك الجاليات المسلمة في قارات أوروبا وأميركا واستراليا. لقد إستطاعت الحكومة أن ترضي حليفها الديني من خلال إقحامه في معركة طائفية تنسيه أخطاءها وفسادها، وتصرف النظر عن التفكير أو الاهتمام بما تخفيه من ممارسات مخالفة للعقيدة.

بعض رموز المذهب المتخاصمين مع الحكومة على قاعدة دينية مثل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين وحتى بعض المشايخ الناشطين سياسياً مثل الشيخ سفر الحوالي والشيخ عايض القرني والشيخ ناصر العمر والشيخ سلمان العودة، تم احتواؤهم أو على أقل تقدير تحييدهم من خلال إثارة الموضوع الطائفي. ونتذكر قصة 'الخروج الاستثنائي' لعضو هيئة كبار العلماء الشيخ عبد الله بن جبرين عن خط الحكومة، حين وجد نفسه متورطاً في مشروع 'لجنة الحقوق الشرعية' التي أنشأها والد الدكتور محمد عبد الله المسعري إضافة الى خمسة آخرين. ففي عودة تصحيحية عاجلة قرر الشيخ ابن جبرين

الانسحاب من اللجنة إبراءً لذمته وتطهيراً لإثم غير مقصود قد ارتكبه في الانضمام الى ما يشبه بجبهة معارضة. وقد تبيّن فيما بعد أن الحكومة أعادته الى 'بيت الطاعة' بتخويفه من الشيعة والمتصوفة الحجازيين المستفيدين الرئيسيين من خروجه من هذا البيت، وخطورة ذلك ستكون مؤكدة بإستمراره في نقد الحكومة.

بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وانحصار الاتهام في تنظيم القاعدة بتكوينه العقائدي الوهابي، واجهت الحكومة السعودية مأزقاً خطيراً، حيث فشلت في تثمير الحدث طائفياً حتى مع حليفها الاستراتيجي، أي الولايات المتحدة الأميركية التي نجحت الحكومة السعودية ولسنوات طويلة إقناعه بأن الخطر الشيعي يتهدد المصالح الاستراتيجية الاميركية في المنطقة ولا بد من تنسيق الجهود سوياً من أجل مواجهة هذا الخطر، ولكن تبين في هذه الأحداث أن الولايات المتحدة وقعت تحت تأثير الخديعة الطائفية السعودية، وظهر فيما بعد أن الأخيرة نجحت في إحباط فرص القراءة الصحيحة لمضمون الخطاب الديني الوهابي بنزعته العدائية ضد الغرب. فالقراءة الخاطئة لأدبيات المذهب الوهابي من قبل الإدارة الاميركية تعود الى كفاءة فريدة للعائلة المالكة والعاملين معها في إصطناع رؤية وهمية عن العقيدة الوهابية خلال فترة الثمانينات، أي خلال فترة مواجهة ما أطلق عليه بالخطر الشيعي القادم من إيران الخارجة في ثورة شعبية من مجال النفوذ الاميركي، والذي أنست معها المحتوى الانفجاري للمذهب الوهابي الذي لم تحن بعد فرصته التاريخية للتعبير عن نفسه بصورة عملية، وهو ما فعله في الحادي عشر من سبتمبر. في تلك الحوادث لم تستطع الحكومة إستثمار العامل الطائفي في معركتها، إذ ليس هناك ما يمكن استثماره طائفياً، ولو كان لفعلت.

هجمات سبتمبر أحدثت شرخاً عميقاً ليس بين السعودية وحليفها الاستراتيجي الولايات المتحدة بل بين الحكومة السعودية وحليفها الديني الوهابي. فتلك الهجمات فضحت بصورة مهينة تلك الوسائل التي إعتمدتها الحكومة السعودية في إقناع الولايات المتحدة بتكثيف إهتمامها على الخطر القادم من الضفة الشرقية من الخليج، فيما كانت فضاءات العالم مفتوحة أمام رجالات المذهب كيما يبثوا خطاباً راديكالياً يغذي الميول المتطرفة لدى مجموعات شبابية في الولايات المتحدة وأوروبا.

إن الانفلات الناجم عن التمدد اللامحدود لنشاطات المذهب الوهابي خارج الحدود وبعيداً عن أنظار العائلة المالكة، سمح لرجال المذهب أن يحققوا ما عجزوا عنه أو ما أجّلوا تحقيقه في الداخل. لقد إستطاع رجال المذهب أن يمدّوا آمالهم وأذرعتهم في قارات العالم، فنجحوا في قيادة كتائب المجاهدين في الشرق الأقصى الى شبه القارة الهندية نزولاً الى أفغانستان وصولاً الى جمهوريات آسيا الوسطى وانتهاءً بحدود أوروبا.

كانت الحكومة السعودية ترى بأن التمدد الوهابي في أرجاء العالم بمثابة ورم حميد قابل للاحتمال طالما أنه لن يتجاوز مشاكل ذات صلة بنشاطات الدعوة السلمية المحتملة في الدول التي تمارس فيها مثل هذه النشاطات من مختلف الاتجاهات العقائدية والايديولوجية. لم تكن الحكومة السعودية تتصور بأن ثمة مفاجأة مفزعة تختفي وراء تلك النشاطات ذات الطابع الديني الظاهري.

إن حاصل مجريات ما بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر أن ضربة قاصمة أصابت العلاقة بين الحكومة والحليف الوهابي، ولم تعد الحكومة قادرة على الدفاع عن حليفها الديني وتبرير وتبرئة مواقفه. لقد إضطرت أن تضربه في الخفاء - وإن بلطف! - إمتثالاً لمتطلبات الحرب على الارهاب كما أرادت الإدارة الاميركية من السعودية، فشنت حملة إعتقال في صفوف من تعتقد بتعاطفهم مع تنظيم القاعدة أو من تشك في إمكانية تحوّلهم الى خلية تنظيمية تابعة لإحدى الجماعات المرتبطة أو المتعاطفة مع الرمز السلفي الجهادي الشيخ أسامة بن لادن، ولكن في الخفاء ثمة إصرار شديد على توثيق العلاقة مع المؤسسة الدينية التي لا يمكن للعائلة المالكة الاستغناء عنها لضمان مشروعيتها الدينية التي بها تكون ممارستها السياسية مأمونة العواقب وضرب خصومها مبرراً لدى علماء الأمة.

إن الفتور المشوب بالشك والحذر الذي حكم العلاقة بين الحكومة والحليف الوهابي منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تحوّل بصورة فجائية الى إستنفار من جانب الطرفين لمواجهة تحديات مشتركة فرضتها الحرب على العراق. فقبل نشوب الحرب على العراق بفترة وجيزة ولا سيما مع بداية تزايد احتمالات وقوعها، بدأت الحكومة في تغذية حليفها الديني بجرعات طائفية قوية.

فكما جرى بعد قيام دولة دينية في إيران عام ١٩٧٩ بقيادة رجال الدين الشيعة من تعبئة طائفية واسعة النطاق، فإن إحتمالات زوال النظام السياسي في العراق وحصول الأغلبية الشيعية على حصة الأسد في الحكومة القادمة سيفرض تحديات جديدة على دول الجوار، وستكون السعودية بنزوعها المذهبي الطائفي المتعارض في تكوينه العقائدي مع المذهب الشيعي في مقدمة الدول المتضررة من زوال النظام في بغداد، رغم الخصام السياسي العلني بين العراق والسعودية، الا أن صعود الشيعة الى دفة الحكم في العراق يحمل في طياته جنباً الى جنب النموذج الشيعي الايراني تهديداً عقائدياً للمذهب الوهابي أو بالأصح لنفوذه.

لقد بدأت الحكومة السعودية في الحرب على العراق في تطوير وسائل تعبئة طائفية موجّهة لحليفها الديني وبالتالي تقديم إبداعاتها في عزف اللحن الطائفي من خلال هذا التباكي على خسارة العراق في هذه الحرب، ولا يعني خسارته سوى وصول الشيعة الى سدة الحكم فيه. الحضور الطاغي والملحوظ لأقطاب التيار السلفي وبعض من كانوا في حرب الخليج الثانية في عداد المتصادمين مع الحكومة في وسائل الأعلام المحلية والمستعملين للغة متشددة ضد العدوان على العراق ليست سوى مؤشرات واضحة على تلك الهواجس المقلقة لدى كل من الحكومة السعودية والحليف الديني الوهابي.

ذكرت بعض المصادر المقرّبة من التيار السلفي بأن الأمير محمد بن نايف إبن وزير الداخلية ومدير السجون والمدير الفعلي لجهاز الأمن الداخلي في السعودية إجتمع مع بعض رموز المذهب الوهابي من الشباب قبل اندلاع شرارة الحرب بأسابيع قليلة وأبلغهم خطورة الموقف وماذا يعني زوال نظام الرئيس صدام حسين من العراق. ولم يكن بإمكانه إيصال رسالة سياسية واضحة سوى عن طريق 'تفزيع' هؤلاء طائفياً، بإثارة مسألة الخطر الشيعي القادم. لقد طالبهم حسب هذه المصادر بالاستعداد للمواجهة المسلحة وأن يهيئوا أتباعهم والمتعاطفين معهم كيما ينخرطوا في صفوف القوات السعودية لمواجهة إحتمالات الحرب القادمة من خلف الحدود الشمالية وبالتالي درء أخطار ما بعد صدام حسين.

خلال تلك الفترة نشر عدد من رموز المذهب الوهابي بياناً ملتهباً حول نوايا الولايات المتحدة في إعلان الحرب على العراق، وهو من البيانات النادرة التي يصدرها علماء المذهب الوهابي بخصوص قضية خارجية، وقد طالبوا الأمة بأسرها بالوقوف مع الشعب العراقي. والغريب أن الموقعين على البيان لم يخفوا مشاعرهم من أن المقصود بالحرب على العراق ليس العراق ذاته بل هو السعودية وليس السعودية ذاتها ولكن بصورة حصرية أتباع المذهب الوهابي، باعتبارهم يمثّلون الإسلام الصحيح الوحيد في الأمة!.

ما يمكن التنبوء به الآن أن ثمة تنشيطاً للميول الطائفية بدأت بوادرها من جانب الحكومة، استعداداً للنتائج المتوقعة من الحرب على العراق، ولمواجهة التحديات اللاحقة كما ستأتي بعد زوال النظام العراقي. الملفت أن الاخير يجد مشتركاً مع الوهابية رغم التناقض الايديولوجي والعقائدي بينهما في مواجهة خصم مشترك وهو الشيعة. إن اللغة الطائفية قد تحقق لكافة الأطراف مستلزمات مرحلة عاجلة وآجلة.

الدور السعودي في الحرب

تسهيلات عسكرية ثمناً لسبتمبر

سبق إعلان الحرب الأميركية على العراق نشاطات دبلوماسية محمومة بين مسئولين أميركيين وبريطانيين من جهة وقادة دول الخليج من أجل حصول قوات التحالف على تسهيلات عسكرية تتضمن استعمال القواعد الجوية وفتح الأجواء أمام طائرات وصواريخ قوات التحالف.

المملكة كان لها وضع خاص لدى الأميركيين، وكان الحصول على موافقتها قد تطلب حملة إعلامية مكثفة أجبرت العائلة المالكة في نهاية المطاف على إصدار موافقتها ولكن مع الابقاء على سرية الموافقة من أجل تفادي أية ردود فعل داخلية وخارجية.

بعد شهور من حملة إنتقاد واسعة شنتها وسائل الاعلام الأميركية على السعودية، وصفت الادارة الاميركية حليفها السعودي بأنه "شريك جيد" فيما تسميه الادارة بالحرب ضد الإرهاب. هذه الشراكة جرى تطويرها لاحقاً بحسب النوايا الأميركية المبيّتة للحرب على العراق، حيث أعلن متحدث بإسم البيت الأبيض قبل شهور من الحرب بـ"أن المسؤولين في واشنطن يعملون على تحسين مستوى المشاركة السعودية في الحملة ضد الإرهاب".. هذه الحملة التي أقحمت دولاً مثل العراق ضمن أهدافها. وكان أري فليشر المتحدث باسم البيت الأبيض قال بأنه "يتوقع من الشركاء الجيدين أن يقدموا المزيد"، ولا حاجة للتأكيد على أن السعودية تمثل أحد الشركاء الأساسيين.

ربما كان السياق التي صدرت فيه تصريحات المسؤولين الأميركيين يتصل بملاحقة فلول تنظيم القاعدة وقطع قنوات الامداد المالي في مركزها الايديولوجي والمالي، أي السعودية، الا أن الاخيرة تدرك بأن أهداف الإدارة الاميركية تتجاوز موضوع تنظيم القاعدة، بالنظر الى توافد القوات الأميركية الى الخليج قبل ستة شهور على أقل تقدير من اعلان الحرب على العراق.

ففي تصريح لوزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل في ٣٠ ديسمبر من العام الماضي نفى فيه ما نشرته صحيفة نيويورك تايمز الأميركية عن موافقه بلاده على فتح قواعد أمام القوات الأميركية في حال شن هجوم أميركي على العراق. وأكد الأمير سعود الفيصل رفض بلاده للضربة العسكرية ضد العراق وضرورة اللجوء الى الوسائل الدبلوماسية حتى في حال صدور قرار من مجلس الأمن. وكانت صحيفة نيويورك تايمز قد نشرت في الثامن والعشرين من ديسمبر من العام الماضي تصريحات لرئيس هيئة أركان القوات الجوية الأميركية جون بي جومبر جاء فيها أن :"المملكة العربية السعودية سمحت لبلاده باستخدام قواعدها الجوية ومركز القيادة في قاعدة الأمير سلطان، في حال شنها هجوما على العراق" وأضاف بأن "الجانبين يجريان محادثات عن تفاصيل التسهيلات التي ستقدمها الرياض". هذه التصريحات جاءت بالتزامن مع وصول مزيد من القوات الأميركية إلى المنطقة في إطار الاستعداد لشن الحرب.

وقال الجنرال جومبر: "أعتقد بقوة أن السعوديين سيعطوننا كل التعاون الذي ننشده، وكل الإشارات الموجودة لديّ أننا نحصل على كثير مما نطلبه". وأضاف جومبر أن العلاقات العسكرية الأمريكية السعودية لم تتأثر كثيرًا منذ تدهور العلاقات السياسية بين البلدين في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر، وقال: "على سبيل المثال، تم تخفيف القيود المفروضة على التدريبات الأمريكية في الشهور الأخيرة، كما يلعب العسكريون السعوديون دورًا بالغ الأهمية في العمليات التي تجرى في قاعدة الأمير سلطان". في الوقت نفسه قالت الميجر ساندي ترويبر المتحدثة باسم وزارة الدفاع الأمريكية البنتاجون: "إن السعودية حليف قوي للولايات المتحدة، وتؤيد أيضاً الحرب على الإرهاب". ونقلت نيويورك تايمز عن قادة عسكريين أمريكيين آخرين قولهم: "إنهم تلقوا تأكيدات في أحاديث خاصة أن بإمكانهم شنّ حرب جوية ضد العراق بواسطة مركز قيادة متطور في قاعدة الأمير سلطان. وأضافوا أنه "سيسمح لطائرات الاستطلاع والمراقبة وطائرات التزويد بالوقود بالطيران من قواعد سعودية، واستخدام المجال الجوي للبلاد من أجل القيام بمهام في حرب عراقية".

هذه التصريحات المثيرة دفعت أكثر من مسؤول سعودي وبخاصة من هم في وزارة الدفاع للرد على التصريحات الأميركية، فقد نفى الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز، نائب وزير الدفاع السعودي قائلاً بأن :"ما ادعته الصحيفة الأمريكية غير صحيح". وأضاف "موقف المملكة واضح من البداية تجاه هذا الأمر، ونحن لا يمكن أن نضع مجالنا الجوي وقواعدنا تحت تصرف الأمريكيين في حال نشوب حرب ضد العراق".

وفي السؤال عن طبيعة الوجود الأمريكي في قاعدة الأمير سلطان الجوية، قال الأمير عبد الرحمن: "إن المملكة ملتزمة بما أقرته الأمم المتحدة بشأن مراقبة الحظر الجوي جنوب العراق، وهذا معروف للجميع، وليس لدينا أي التزام بأي أمر آخر تجاه العراق".

وقد أبلغت القيادة السعودية الحليف الأميركي إنزعاجها من تصريحات الجنرال جومبر كونها سببت إحراجاً شديداً لها أمام مواطنيها المتعاطفين مع العراق والمناوئين للحرب، وكذلك أمام الدول العربية المناهضة للحرب. وقد إضطرت الادارة الاميركية الى تخفيف التصريحات والعودة الى نقطة البداية حيث أوضح مسؤولون أمريكيون أن كل مطالب البنتاجون الخاصة باستخدام القواعد الجوية السعودية لا تزال محل البحث.

وقد نُشرت تصريحات لاحقة في الصحف الأميركية مفادها أن المسؤولين السعوديين لم يتعهدوا علانية بمساعدة العمليات العسكرية الأمريكية في أي حرب عراقية. وقد توحي هذه التصريحات بطبيعة التوجه السعودي في الابقاء على سرية التعاون مع القوات الاميركية. وعلى حد المحلل السياسي في إذاعة بي بي سي البريطانية روجر هاردي "السعوديون قلقون من التأثيرات المحتملة على الرأي العام المحلي لأي قرار قد ينظر اليه على انه تعاون مع المساعي الامريكية لضرب العراق. ولكنهم من ناحية اخرى حريصون على ترميم علاقاتهم مع الولايات المتحدة التي تضررت بشكل كبير بهجمات الحادي

عشر من سبتمبر ٢٠٠١". ويعلّق موضحاً: "ليست المرة الاولى التي تجد الحكومة السعودية نفسها مضطرة لمماشاة موقفين متناقضين في آن واحد".

وكانت صحيفة الواشنطن بوست قد تحدثت في أول أسبوع للحرب على العراق عما أسمته بالازدواجية السياسية لدى الحكومة السعودية بناءً على الدور المزدوج الذي لعبته في الحرب حيث منحت في السر تسهيلات عسكرية لقوات التحالف وفتحت قواعدها أمام القوات الأميركية كيما تدير عملياتها الجوية ضد العراق، وفي نفس الوقت ساهمت في الجهود الرامية الى إيقاف الحرب ومعارضة استمرارها إرضاءً لمشاعر مواطنيها.

وفيما كانت وسائل الاعلام مشغولة بالتصريحات المتضاربة لدى المسؤولين الأميركيين والسعوديين حيال التسهيلات العسكرية التي ستقدمها الحكومة السعودية لقوات التحالف، كانت المحادث السرية بين القادة العسكريين الأميركيين والسعوديين تحقق تقدماً كبيراً، حيث ذكرت مصادر سعودية بأن قوات أميركية بدأت بالتقاطر على قاعدة الأمير سلطان الجوية قبل شهرين من انطلاق الحرب على العراق. فهذه القاعدة تحظى بإهتمام خاص لدى القيادة العسكرية الأميركية، وحسب المحلل السياسي روجر هاردي فإن "القيادة العسكرية الامريكية تفضل استخدام القواعد السعودية بما فيها من امكانات فنية متطورة، بالرغم من قيامها بتطوير قواعد اخرى في قطر لاستخدامها كبديل في حال إصرار السعوديين على رفض استخدام قواعدهم في الحرب على العراق".

المثير في الأمر أن ثمة ثمناً فرضه الأميركيون على الحكومة السعودية من أجل ترميم بنية التحالف الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الذي بدأ في التصدّع منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر. ففي تصريح مثير للدهشة للمرشح الرئاسي المحتمل عن الحزب الديمقراطي في الانتخابات الرئاسية المقبلة ديفيد ليبرمان الذي كان قد زار عدداً من الدول العربية قبل نشوب الحرب جاء فيه أنه "أبلغ المسؤولين السعوديين بأنهم لو قرروا دعم الجهود الامريكية ضد العراق فإن من شأن ذلك المساعدة في اصلاح ما تسببت فيه هجمات سبتمبر من اضرار للعلاقات بين البلدين".

ومع بداية القصف الصاروخي المكثف على بغداد والمدن العراقية الكبرى في الجنوب والشمال والوسط، وظهور صور الدم والدمار والهلع من جراء سقوط الصواريخ على المباني السكنية، والذي أدى الى تفجّر غضب عارم في الدول العربية والاسلامية، إضطرت القيادة السعودية للانحناء أمام الاتجاه الشعبي العام الرافض لما يجري على الشعب العراقي، حيث عبر وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل عن "قلق المملكة البالغ وأسفها الشديد" لبدء العمليات العسكرية ضد العراق، مؤكداً مجدداً أن المملكة "لن تشارك" في الحرب على العراق. ونقلت وكالة الانباء السعودية عن مصدر رسمي سعودي قوله "أن القوات المسلحة السعودية لن تدخل تحت أي ظرف شبراً واحداً من الاراضي العراقية"، فيما أشار الأمير سعود الفيصل في تصريحه الى بذل جهود "في سبيل حماية أمن السعودية واستقرارها ووحدتها الوطنية". هذه التصريحات قد تكشف الى حد كبير معنى التعاون العسكري السعودي في الحرب الأميركية على العراق، بما لا يشمل فتح القواعد والأجواء أمام الطائرات والصواريخ الأميركية، كما يكشف المخاوف السعودية من الانعكاسات المحتملة للحرب على وحدتها الوطنية وأمنها الداخلي.

وفيما كانت الحملات الصاروخية

موقف السعودية من الحرب يتسم بالسرّية الشديدة ويختفي خلف تصريحات وإعلام مناوئ لها لتفريغ شحنات الإنفعال الشعبي

تتصاعد على بغداد والمدن العراقية، كان الموقف السعودي يزداد حراجة إزاء أي تسريبات حول الصلات المحتملة للحكومة السعودية بما يجري في العراق. فقد ظهر بعد أربعة أيام من الحرب بأن ثمة توتراً في العلاقات السعودية الأميركية إزاء مطالب أمريكية بإبداء المزيد من المساعدة في الحرب. وكان مسؤولون أمريكيون صرحوا في الرابع والعشرين من مارس الماضي بأن وزارة الدفاع الأمريكية تضغط على الرياض من أجل زيادة ما أسموه تعاون المملكة. وقال أحد المسؤولين: "يعتقد البنتاغون أنه يستطيع شن الغارات من خلال المملكة".

إن الحديث عن مناقشات بين القيادتين العسكريتين الأميركية والسعودية حول زيادة التعاون العسكري السعودي في الحرب على العراق جاءت في أعقاب المشاكل التي واجهتها القوات الأميركية في الجبهة الشمالية نتيجة الرفض التركي في المرحلة الأولى من الحرب بفتح أراضيها للقوات الأميركية. وكان مسؤولون أميركيون قد ذكروا بأن "المملكة العربية السعودية أصبحت دولة هامة في التخطيط العسكري الأمريكي بعد رفض تركيا السماح بنشر نحو ٦٢٠٠٠ جندي أمريكي والذين كانوا سيدخلون عبر الحدود الشمالية من العراق". وهذا ما أدى في الناتج النهائي الى تكثيف البنتاغون ضغوطه على القيادة السعودية للتمكن من إستخدام مجالها الجوي ومناطقها في كل من العمليات المضادة للعراق وكطريق إضافي تستخدمه واشنطن في الحرب.

وفي الثامن والعشرين من مارس الماضي وقعت مفاجأة غير سارة للقيادة السعودية إثر سقوط عدد من صواريخ توماهوك في الأراضي السعودية، وكان ذلك يمثل رأس الجليد في موضوع التعاون العسكري بين السعودية والولايات المتحدة. وكيما تخفف القيادة العسكرية الأميركية من إنعكاسات الموضوع على الساحتين المحلية والعربية قررت وقف قصف العراق بصواريخ توماهوك عبر الاراضي السعودية. وقال الميجور جنرال فيكتور رينورات في مؤتمر صحفي بمقر القيادة المركزية الوسطى في قاعدة السيلية بقطر أن القوات الاميركية واجهت هذه المشكلة مع السفن الراسية في البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط. غير أن توضيحاً لاحقاً بدد ما كان يعتقد بأنه توقف تام عن استعمال للأجواء السعودية، حيث قال رينوارت ان الولايات المتحدة تعمل على اصلاح الخلل "وسوف نعود الى السعودية لاستئناف القصف عندما يكون ذلك ملائماً". وأضاف "أن القوات الاميركية تأمل معاودة استئناف القصف دون تعريض المناطق المأهولة بالسكان في السعودية الى الخطر".

ربما كان تصريح وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل في بداية أبريل لمحطة تلفزيون أميركية والمتضمن دعوة للرئيس العراقي بالتنحي عن الحكم إنقاذاً لشعب العراق وتجنيباً له من ويلات الحرب، قد فجّر الغضب العراقي حيال موضوع التعاون العسكري السعودي الأميركي. فقد إعتبر مسؤولون عراقيون بأن "السعودية شريك كامل" في الحرب على العراق، فيما وصف نائب الرئيس العراقي طه ياسين رمضان في رده على تصريح الأمير سعود الفيصل بأنه وإبن عمه الأمير بندر عملاء للسي آي أيه، وحمل على موقف السعودية المهادن من الحرب على العراق.

الخلاصة: إن ما يميّز موقف السعودية من الحرب هذه المرة أنه يتسم بالسرّية الشديدة ويختفي خلف موجة كثيفة من التصريحات المناوئة للحرب، إضافة الى "التسهيلات الاعلامية" التي منحتها الحكومة لأصحاب الرأي كيما يفرغوا شحنات الانفعال والغضب ضد الولايات المتحدة على أن تنال الأخيرة ما تريد من قواعد السعودية وأجوائها.

لم يعد أحد في مأمن حتى الحكومة

شبه الجزيرة المضطربة

قبل إندلاع شرارة الحرب الانجلوأميركية على العراق في العشرين من مارس الماضي، كانت الأجهزة الأمنية السعودية تترقب بحذر شديد إنعكاسات تلك الحرب على الوضع الأمني الداخلي في المملكة. وكانت التوقعات تجمع على أن الاختلال الأمني الذي شهدته البلاد في الشهور الستة الماضية سيزداد سوءاً فور انطلاق أول رصاصة خلف الحدود الشمالية للمملكة. وهذا ما حدا بوزير الداخلية الامير نايف بن عبد العزيز الى إطلاق تحذيرات ضد الجماعات المتشددة من إستغلال ظروف الحرب لشن هجمات مسلحة على المصالح الاميركية داخل الأراضي السعودية، بناءً على مشاعر العداء المتزايدة ضد الولايات المتحدة وبخاصة في حربها على العراق.

وذكر الأمير نايف تلك الجماعات بالجهود التي بذلتها حكومته من أجل منع الولايات المتحدة وبريطانيا من اعلان الحرب، وكأنه يحاول إقناع تلك الجماعات بأن حكومته عاجزة عن درء خطر الحرب، ولا بد لهذه الجماعات حينئذٍ أن تقدّر خطورة الموقف وأن تنأى عن تخريب الوضع الأمني الداخلي بما يحول دون إتاحة فرصة لتدخل أجنبي في المستقبل، حيث ذكر الأمير نايف في تصريح لصحيفة عكاظ اليومية أن 'الوطن مسئوليتنا الأولى ويجب أن نتجنب كل شيء يعرّض بلادنا للخطر، ومن يجتهد أو يعتقد بان الوقت مناسب لتقديم مصلحته على مصلحة الوطن مخطئ بكل المقاييس..' موضحاً بأن 'الأنظار موجهة إلى منطقتنا المستهدفة، والواقع يحتم علينا التعامل معه بصرف النظر عن خطئه وصوابه لتجنيب بلادنا الآثار السلبية لذلك العمل (الحرب) الذي نرفضه.'

وفيما كانت أجهزة الأمن السعودية تترقب من جماعات دينية ولكن ذات توجهات سياسية أن تقوم بأعمال تؤدي في نهاية الأمر الى إضعاف حلقات الضبط الأمني في الداخل، فوجئت أجهزة الأمن بتزايد جرائم العنف بوتائر غير متوقعة. ففي مدينة جدة هاجم ثلاثة شبان سعوديين بعد صلاة الجمعة مباشرة عاملا هندياً في متجر بقالة بالرصاص أصابه في يده وساقه وسرقوا متجره. وبعد أيام قليلة كاد سعوديان أن يقتلا امرأة بريطانية بعد أن ضرباها بهرواة في وضح النهار في حي سكني مزدحم وسحباها من حزام حقيبة يدها لعدة أمتار وهما في سيارتهما قبل ان ينقطع الحزام ويفرا بالحقيبة. وعندما حاول شرطي بمفرده إلقاء القبض على مجموعة من المراهقين السعوديين في ناحية اخرى من المدينة كانوا يتنزهون بسيارة، تعرض لوابل من الحجارة وانتهى الأمر بان أطلق الرصاص على أحدهم كي ينجو بنفسه.

لقد أرجع بعض المراقبين تزايد معدلات الجريمة الى الانفجار السكاني المضطرد والمتعاكس مع التغير الاجتماعي السريع، والتناقص الحاد في عائدات النفط وبالتالي عجز الدولة عن الايفاء بالحد الأدنى من الحاجات الاساسية للسكان. فبحسب تقديرات مؤسسة النقد العربي السعودي المكافيء المالي لـ (البنك المركزي) فإن البطالة في المملكة بلغت نسبة ٣٠.٧٪. وقال تقرير أصدرته المؤسسة أن الجريمة بين الشباب السعودي العاطل عن العمل زادت بنسبة ٣٢٠٪ فيما بين ١٩٩٠ و١٩٩٦، ومن المتوقع ان تزداد الجريمة بنسبة ١٣٦٪ أخرى بحلول عام ٢٠٠٥. قال عبد الله زينل علي رضا رئيس الغرفة التجارية والصناعية بجدة في تصريح لوكالة رويترز 'نعرف أن هناك صلة بين تزايد الجريمة وتزايد البطالة.. ولهذا السبب فان توفير المزيد من فرص العمل هدف رئيسي لنا.'

صحيفة الرياض اليومية ذكرت أنه في عام ١٩٩٩ نظرت المحاكم الشرعية في المملكة في ٦١٦ جريمة قتل، وكان العدد الأكبر من الجرائم في مكة المكرمة. وقالت الصحيفة في تقرير خاص عن الجريمة في المملكة نشرته مؤخراً على صفحتين أن الناس في غاية الحيرة. فثمة تساؤل كبير يردده سكان المملكة وهو: كيف يمكن للجريمة ان تتزايد باستمرار في هذا المجتمع المسلم؟ وكان طبيب بغرفة الجراحة والطوارىء في مستشفى الملك فهد العام بجدة قد صرح بأن المستشفى كان منذ عامين يشهد حادثاً أو حادثين لاطلاق النار كل شهر في المتوسط وكان معظمها غير متعمد. واستطرد قائلا: 'لكن الآن أرى ضحايا ما يصل إلى سبعة حوادث طعن واطلاق نار كل اسبوع.' ويقول أطباء في مستشفى الملك عبد العزيز في جدة أنهم يعالجون عدداً كبيراً من حالات العنف المنزلي والعنف ضد الاطفال. وقال طبيب بالمستشفى لوكالة رويترز 'زوجات يعانين من حروق بالسجائر وكسور في العظام وجروح.. أمر آخر محزن نراه كثيرا.' والمفارقة ان الأزواج هم ضحايا الاصابات الأشد خطورة وهذه نتيجة مباشرة لانتقام عائلات الزوجات.

إن ما تنبّه اليه الزيادة المخيفة في جرائم العنف يتعلق بجدوى تطبيق الحدود في المملكة باعتبارها جزءاً هاماً من أساليب الردع المتبّعة لدى أجهزة الأمن السعودية. فتطبيق الشريعة الاسلامية من خلال تنفيذ أحكام الإعدام بقطع الرأس علناً أمام الجمهور في قضايا القتل وتهريب المخدرات وكذلك حدود الاغتصاب والزنا وقطع يد السارق، لم يؤد الى إنخفاض معدلات الجريمة، بل هناك إعتراف متزايد بان عقوبة الاعدام لا تفيد كرادع يمنع وقوع الجرائم. ولعل هذا ما دفع الحكومة لاتباع أساليب أخرى غير تطبيق الحدود في معالجة الأسباب الجذرية للجريمة، منها فتح مستشفيات لمعالجة مدمني المخدرات في جدة والرياض والدمام، وبناء مراكز إعادة تأهيل بعض المجرمين بمن فيهم المتورطين في أعمال عنف وجريمة مسلحة من أجل دمجهم في قوة العمل المحلية.

إن الجهود المبذولة من جانب الحكومة

السعودية غير كافية بالقدر الذي يسهم في تقليل معدلات الجريمة، وخصوصاً تلك المتعلقة بترويج المخدرات، فقد أعلنت قوات الأمن السعودية في شهر مارس الماضي عن القبض على أكبر عصابة سعودية لتهريب المخدرات ومصادرة ١١٢٥ كيلوجراما من الحشيش وعدد غير محدد من الأسلحة النارية كان في حوزتهم.

ورغم أن ثمة حظراً مفروضاً على وسائل الإعلام المحلية بشأن الكتابة عن الجرائم وأسبابها الاجتماعية، الا أن ثمة تسامحا الى حد ما جرى في الآونة الأخيرة حيال هذا الموضوع نتيجة تزايد معدلات الجريمة وعجز الدولة عن الاستمرار في تبني خيار 'كل شيء على ما يرام'، فقد بدأت بعض الصحف بتخصيص صفحات لتغطية حوادث الجريمة بعد تكررها وتنوع مصادرها وأسبابها.

ثمة أحياء فقيرة قابعة داخل المدن تمثل أوكاراً للجريمة المنظمة، وهذه الأحياء تمثل أشبه ما يكون بأثام الدولة وتجسيدات لإخفاقها في تبني سياسات إقتصادية متوازنة. فالشميسي في الرياض والكرنتينة في جدة والباطنية في الدمام نماذج حية لأحياء معدمة داخل مدن الملح، وهي ليست سوى أعشاشاً تولد فيها الجريمة كرد فعل على الحرمان الاجتماعي مقابل مترفين يقبعون خلف جدر تلك الاحياء المعدمة. الزيارة التي قام بها الأمير عبد الله الى حي الشميسي بالرياض قبل عدة شهور والتي حظيت بتغطية إعلامية واسعة كشفت للحكومة حجم المعاناة التي يعيشها سكان ذلك الحي، وطبيعة الانفجارات الأمنية المتوقع حدوثها.

صحيفة عكاظ اليومية نشرت في مارس الماضي ثلاث حلقات عن حي الكرنتينة الفقير في جنوب جدة. وكان بحق تقريراً يثير الهلع، فقد تحدث صحفيون زاروا الحي خفية عن إنتشار الدعارة وتعاطي المخدرات وتهريب المشروبات الكحولية، حي لا يكاد يصدق المرء بأنه جزء من هذا البلد، أو أنه يقع على مسافة قريبة من المشاعر المقدسة، حي ترتكب فيه كل المخالفات بلا تمييز (انظر الحجاز، العدد ٥، ص ٨، ٢٤). ويقول الصحافيون الذين زاروا الحي بأنه أصبح منطقة لا تستطيع الشرطة دخولها ليلاً.

وفي العام الماضي أعلن اللواء علي حسين الحارثي مدير الادارة العامة للسجون في السعودية عن إجراءات تستهدف تقليل عدد السجناء الذين يقضون فترات العقوبة في زنزانات مكتظة. وقال للصحفيين انه سيجري تخفيف العقوبات عن الجرائم الصغيرة حيث تحل الخدمة العامة والغرامات محل عقوبة السجن. وفيما يبدو أن كل الاحتياطات والتدابير الأمنية التي تتخذها الحكومة من أجل تقليل معدلات الجريمة باتت غير مجدية، ولا تمارس دور الكابح. فالبلاد باتت مسرحاً لحوادث أمنية ذات أشكال متنوعة، ويكفي للتدليل على ذلك بأن شهر مارس الماضي كان حافلاً بالحوادث المخلة بالأمن العام. ففي الثامن عشر من مارس الماضي إنفجر في العاصمة السعودية الرياض منزلا عثرت قوات الأمن على اسلحة وذخائر بين أنقاضه. وبحسب ما جاء في التصريح الصحفي لوزير الداخلية الأمير نايف فإن الانفجار وقع 'في منزل يسكنه رجل أو امراة في شمال شرق الرياض' مضيفا ان 'قوات الامن عثرت في المكان على اسلحة وذخائر.' وأعلن الوزير انه لا يملك معلومات بعد حول احتمال وقوع ضحايا. ولكن معلومات جديدة ظهرت في الثالث

تهاوت هيبة الدولة وتراخت قبضتها الأمنية ولا يمنع تطور الجريمة وتعقّدها سوى إعادة تركيب الدولة على أسس جديدة

والعشرين من مارس كشفت بأن شخصاً قد لقي حتفه في الانفجار، وقد ذكرت مصادر وزارة الداخلية بأن الشخص كان 'قد تلقى تدريبا في افغانستان.'

وجاء في بيان وزارة الداخلية بأن 'قوات الأمن عثرت في ركام المنزل على ثلاث قنابل يدوية و١٢ بندقية رشاشة من نوع كلاشينكوف وبندقيتين ومسدس ومتفجرات، كما عثروا على ٨٧ مخزن بندقية رشاشة وأربع علبٍ من الذخائر و٣٤ مخزن مسدس ومخزني بندقية إضافة الى مواد كيميائية كما اكتشفوا مختبراً وأوراق هوية مزوّرة ومبلغاً من المال قدره ١٤٢ الف ريال (٣٧٨٩٠ دولارا).' وأشار البيان الى أن التحقيق متواصل في ملابسات الحادث، فيما ذكرت مصادر أخرى بأن رجلاً وامرأة غادرا المنزل فور حدوث الانفجار.

وفي حادثتين متشابهتين وقعتا في يومين متتاليين.. الحادثة الأولى وقعت في الدمام في تاريخ ٢٢ مارس حيث قام شخص مسلح بالهجوم على مؤسسة صرافة وهدد العاملين فيها وسرق ما مقداره ٥٠٠ ألف ريال سعودي وجرح من جرح وهرب بعيداً عن أعين الاجهزة الامنية والجنائية. وبعد يومين من تلك الحادثة وقع حادث مشابه في جدة حيث تمكن أربعة مسلحين سعوديين من الاستيلاء على أكثر من ١٩٠ ألف ريال من فرع البنك السعودي الفرنسي بحي البوادي شمال جدة. وبدأت عملية السطو بقيام المسلحين في التاسعة من صباح ذلك اليوم بتهديد أحد مأموري الصرف في فرع البنك بواسطة سلاح ناري كانوا يحملونه وطالبوه بتسليمهم كل المبلغ الذي في خزنته والذي بلغ أكثر من ١٩٠ ألف ريال ثم لاذوا بالفرار فيما كان البنك يعج بالعملاء. وقد وصلت الجهات الأمنية في جدة الى الموقع بعد أن تمكن المسلحون من إتمام عمليتهم والفرار بعيداً عن أنظار الأمن الجنائي والبحث الجنائي وشرطة المحافظة وباقي أجهزة الاختصاص في مثل تلك الحالات.

في اليوم التالي أي الخامس والعشرين من شهر مارس أعلنت أجهزة الأمن السعودية عن مقتل أحد رجال الأمن السعوديين وإصابة آخر بجروح إثر تعرضهما لحادث إطلاق نار من مجهول في مدينة سكاكا بمنطقة الجوف شمالي السعودية. وقال مدير شرطة منطقة الجوف في تصريح لوكالة الأنباء السعودية أن الحادث وقع في تمام الساعة الواحدة والربع ظهراً بالتوقيت المحلي أثناء أداء فرقة من ادارة المرور أعمالها في أحد شوارع مدينة سكاكا بمنطقة الجوف.

إن وقوع الحادث في منتصف النهار وخلال فترة عمل إدارة المرور يعكس والى حد كبير جرأة الناس على السلطة كما يعكس أيضاً إنكسار حاجز الخوف من الأجهزة الأمنية. نشير الى أن هذا الحادث قد سبقته حوادث قتل مشابهة في منطقة الجوف، ففي أواخر سبتمبر عام ٢٠٠٢ لقي القاضي عبدالرحمن السحيباني حتفه متأثرا بجراحه، كما ذهب في منتصف فبراير الماضي وكيل امارة منطقة الجوف الدكتور حمد الوردي ضحية حادث إغتيال غامض تعرض له، قيل أن أحد الأمراء السعوديين كان يقف وراءه.

إن إجمالي الحوادث الامنية المتزايدة بوتيرة متسارعة ينذر بمستقبل شديد الاضطراب في بلد لم يعد بإمكان الأجهزة الأمنية إحكام قبضتها عليه، فقد تهاوت هيبة الدولة وتراخت قبضتها الأمنية وليس هناك ما يمنع تطور الجريمة وتعقّدها سوى إعادة تركيب الدولة على أسس جديدة.

موضوع الغلاف

الوضع السياسي في البلاد وآفاقه المستقبلية

الإصلاح محتمل والديكتاتورية قد تقضي على النظام

قاربت الحرب على العراق على الحسم رغم أن المعارك ـ حتى كتابة هذه السطور ـ لم تنته؛ وتبيّن أن القيادة الديكتاتورية تكسب المعركة أولاً ضد شعبها، لتخسرها بعدئذ ضدّ الأجنبي. فالديكتاتورية لا تحمي أرضاً ولا عرضاً، ولا تهيئ شعباً للدفاع عما يعتقد أنه منجزات وطنية. إنها تهزم المواطن قبل أن يهزمه المستعمر الخارجي بآلته العسكرية الجهنمية. هذه نتيجة متوقعة. وأقصى ما يمكن أن تبلغه الديكتاتورية، لا يعدو انتصارات تكتيكية، ولعلّ الفائدة الأساسية التي نخرج بها من الحرب، هي أن نتأكد حقاً من أن أي نظام عربي لا يتصالح مع شعبه، وإن الديكتاتورية أينما حلت لا تأتي إلا بالكوارث وتسهّل على العدو إقتحام الحصون الداخلية.

وهذا الدرس هو ما نأمل من شعوب وحكام المنطقة أن يستخلصوه من الحرب، قبل أن يحدد الأميركيون هدفاً آخر لهم في المستقبل.

التيار السلفي قد يتعرض لتقليص النفوذ والإضعاف في حال قررت العائلة المالكة المضي في الإصلاحات السياسية

المملكة واحدة من ثلاث دول مستهدفة (إضافة الى إيران وسوريا) في مرحلة ما بعد عراق صدام حسين. قد لا يكون الإستهداف عسكرياً بالشكل الذي نشهده في العراق، فالمملكة لا تتحمل ضغطاً عسكرياً، بل أن الضغط السياسي والتهديد بالحرب كافٍ لتغيير مسارها وقلب الأوضاع فيها. ولهذا فالمملكة قبل غيرها أحوج ما تكون الى التحوّل الى نظام سياسي جديد، يمنع حدوث الكوارث في المستقبل.

معالم الوضع السياسي الداخلي في المملكة يمكن رسمها على هذا النحو:

أ ـ وضع سياسي منغلق في ظل دعوات ملحّة لتوسيع الأطر السياسية.

ب ـ سخط إجتماعي عام من العائلة المالكة وسياساتها، والتذمر من فسادها واحتكارها للإقتصاد.

ج ـ معارضة تشتدّ من مختلف الأوساط في المملكة، ومن كافة الشرائح والمناطق، وهذه المعارضة آخذة بالتصاعد، في ظل تضاؤل هيبة النظام بشكل عام.

د ـ خلاف داخل العائلة المالكة لا يعلم حجمه وأثره، ولكنه موجود وقد يتفجّر في أي لحظة.

هـ ـ قلق عند الغربيين، خاصة الأميركيين، من تطور الأوضاع في المملكة بشكل ينذر بالخطر، خوفاً من تنامي ما يسمّى بالعنف والأصوليّة المتشددة، وكذلك خوفاً من غياب النظام القائم دونما وجود بديل واضح. ومن هنا جاءت مبادرة الشراكة التي تدعو الى دمقرطة المنطقة والتي أعلن عنها باول في ديسمبر الماضي، من أجل تحوّل سلمي، ولكن إذا ما فشل فإن المسؤولون السعوديون في الإنصياع لـ (التحول الديمقراطي) فإنهم سيتعرضون لضغط قوي والبحث عن بدائل أخرى كتقسيم المملكة نفسها أو إزاحة العائلة المالكة عن الحكم.

و ـ شعب أصبح أكثر تسيساً مما مضى يصعب تطويعه، وقاعدة دينية منشقة على النظام، ومشروعية مهتزة شارفت على النضوب.

ز ـ وضع اقتصادي غير مريح مع بطالة متفشية رغم تصاعد المداخيل بسبب ارتفاع أسعار النفط النسبي بسبب الحرب، ويتوقع أن تنخفض الأسعار الى دون معدلاتها الطبيعية بعد أن يستعيد العراق قوته التصديرية خلال السنتين القادمتين. ولهذا فإن أغلب الإحتمالات المستقبلية بشأن الإقتصاد السعودي وقدرته على توفير فرص معيشية وسيولة تمكن النظام من الإستمرار معتمة.

هذه النقاط تشكل ملامح الصورة الحالية للوضع الداخلي للبلاد. وحتى هذه اللحظة لم يقدم النظام على سياسة ذات نفع تحدث تطوراً جوهرياً لحلحلة المشكلة السياسية والإجتماعية وتخفف من آثارها المتصاعدة، خاصة فيما يتعلق بالإصلاح السياسي.

من جهة أخرى لم يثبت حتى الآن أن إجراءات النظام القمعية ـ وهي البديل المتوفر المقابل للإصلاح ـ والتي اتخذها تجاه المعارضة بمختلف تشكيلاتها السياسية وألوانها المناطقية قد نجحت في إبعاد الخطر، بل تكثر الأدلة التي تفيد بأن الشعور بالنقمة من النظام والإحتجاج عليه ـ وإن لم يؤطّر بالكامل في تشكيلات ـ في تصاعد سريع حتى في البيئات التي لم تكن لتجرأ علناً على معارضة النظام من قبل.

خلال الفترة القادمة، فإن الوضع المستقبلي (٦-١٢ شهراً القادمة) يمكن أن يكون على هذا النحو:

أ ـ تصاعد الضغط الأميركي والغربي على الأمراء السعوديين لكي يخففوا من الأزمة الداخلية بمزيد من الإنفتاح ولمنع الإنفجار الذي قد يتوجّه للمصالح الأميركية في الداخل والخارج. وكذلك الضغط من أجل المزيد من الإنفكاك بين النظام السعودي وقاعدته السلفية (الوهابية) والتي تعتبر الطريق أو المحصلة الأساسية للإنفتاح السياسي الداخلي.

رفض الإصلاحات سيزيد الناس نفوراً من نظام الحكم والديكتاتورية قد تمزّق المملكة الى دويلات

ب ـ تصاعد المواجهة بين التيار السلفي ونظام العائلة المالكة، إما على خلفية الضغط الأميركي أو على خلفية الضغط الحكومي وتقليص نفوذ (الوهابية) في أجهزة النظام.. وهناك احتمال بأن تكون بعض المواجهات عنيفة ودموية، من خلال استقراء التجارب الماضية التي علمتنا أن التيار السلفي عموما لم يسكن للنظام إلا بالقمع إبتداءً من التجربة الأولى مع الإخوان (١٩٢٦-١٩٣٠) والثانية مع التيار الديني الذي احتجّ على التلفزيون عام ١٩٦٥ والتي أدت الى إعدام الأمير خالد بن مساعد آل سعود؛ والثالثة مع حركة الأخوان الجدد بقيادة جهيمان العتيبي عام ١٩٧٩، والرابعة التي أخذتنا جميعاً الى مستنقع العنف الذي نحن فيه والتي بدأت منذ تواجد القوات الأميركية عام ١٩٩٠ من أجل ما سمي بتحرير الكويت ومن ثم المراقبة الجوية للأجواء العراقية؛ وقد أدت تلك المواجهة الى موجة من الإعتقالات وانفجارات عنف لاتزال


الديكتاتورية تهزم الشعب قبل الأجنبي

مستمرة. وها نحن ندخل مرحلة خامسة ابتدأت بالحرب على العراق، ولن تنته فيما يبدو بدون انعكاسات خطيرة على الوضع الداخلي السعودي، خاصة من جهة العلاقة بين التيار السلفي الذي ولد النظام السعودي من رحمه، وبين العائلة المالكة. لقد ظهر في الآونة الأخيرة بعض الإعتدال في صفوف التيار السلفي، ونقول اعتدالاً ـ بالمقاييس السعودية!ـ ولكن الجسد الأكبر لهذا التيار، ينحو باتجاه التطرف الشديد، وهو تيار لا يؤمن بالمساومة ولا بأنصاف الحلول، ولديه قابلية شديدة للمغامرة فإما أن يأخذ كامل كعكة الحكم أو يخسر كل شيء.

ج ـ يتوقع أيضاً وخاصة بعد أن تنجلي الحرب، أن تحسم مسألة الحكم من جهة إيجاد مخرج سياسي من نوع ما، يتيح إقالة الملك (فعلياً) وحسم ولاية العهد للأمير سلطان. لعل ما يحدث من تطورات يحسم موضوع الصراع بين الأجنحة حول المسألتين عن طريق المساومة السياسية التي قد تتيح للأمير عبد الله هامشاً من الحركة لإدارة البلاد واتخاذ قرارات مصيرية. بالطبع هناك من لا يرى هذا التطور، بل على العكس، يرى أن الصراع سيتطور، وسيكون الأمراء أقلّ قدرة على إدارة الصراع الداخلي، ومن المحتمل أن يخرج الصراع بين الأمراء الى الشارع، وتساهم فيه النخب. بل أن بين المتشائمين من يعتقد أن الصراع قد يحسم بين الأمراء ولكن بعملية جراحية أي بعد المرور بتجربة تصادم عنفي مسلح بين أفرع القوات المسلحة والأمن الداخلي.

د ـ من المتوقع خلال العام القادم، أو الأشهر الستة القادمة، أن يحسم موضوع الإصلاحات السياسية سلباً أو إيجاباً.. فالتمطيط بلغ منتهاه وغايته. وقد نشهد مطالبات جديدة من رموز المجتمع تطالب بتسريع العملية الإصلاحية كما لو كانت عملاً استباقياً لمواجهة التحديات القادمة من الحليف الأميركي، وما يفرضه تغير الوضع بل انقلابه في العراق وما يحمله من آثار بالغة التحدّي للمملكة. مجلس الشورى المنتخب، وإصلاح القضاء، وإعطاء دور أكبر للمرأة، وانتخاب مجالس المناطق، ومكافحة الفساد، وغير ذلك من القضايا ستكون محور المطالب الشعبية التي هدأت بسبب اشتعال الحرب، والتي يحتمل جداً أن تستأنف وتتخذ صوراً أخرى أكثر شعبية.

هـ ـ سيبقى السخط العام قائماً بسبب الوضع الإقتصادي من جهة، وبسبب عدم السيطرة على الفساد داخل العائلة المالكة من جهة ثانية، وبسبب تضاؤل الإصلاحات السياسية وعدم إرضائها شرائح غير قليلة في المجتمع، وستبقى هناك دوافع لدى الكثيرين من أجل تحسين الأوضاع السياسية والإقتصادية بشكل عام. وغير أن هذا لا يلغي بسبب ضعف النظام احتمالات أن يكون الجو العام جو انفتاح وحرية في الحديث والصحافة. وحتى مع وجود بوادر الإصلاح، سيبقى الوضع الإقتصادي المتردي مولداً أساسياً للسخط العام، الذي لن يتوقف خلال السنوات القادمة.

و ـ وأخيراً، هناك احتمال بأن يقاوم النظام الضغوط الداخلية والخارجية فيبقي الأمور على ما هي عليه، بحيث تمشي على النسق التي هي عليه الآن. وهذا يعني استمراراً للديكتاتورية الرديفة للفشل الإقتصادي والإجتماعي، وهذا بدوره سيجعل مستقبل المملكة مفتوحاً أمام كل الإحتمالات الخطرة شأن كل ديكتاتورية تقامر بمصير مواطنيها ومستقبلهم، فهي تخسر المعركة مع الشعب ولا تستطيع المواجهة مع الأجنبي.. وحينها يذهب النظام غير مأسوف عليه.

إعتقال الشيخ عبد الحميد المبارك

إعتقلت السلطات الأمنية السعودية وللمرة الثانية خلال عام، الشيخ عبد الحميد بن مبارك آل الشيخ مبارك، أستاذ الفقه المالكي في منطقة الأحساء والأستاذ المشارك في جامعة الملك فيصل، بسبب فتوى أو بيان أصدره حول الحرب ضد العراق، تضمن نقداً لاذعاً للمؤسستين الدينية والسياسية. جاء في البيان/ الفتوى "حرمة سكوت العلماء عن بيان الأحكام التفصيلية في هذه النازلة" متهماً إياهم ـ رجال المؤسسة الوهابية ـ بأنهم يغلبون مصالحهم المادية والحزبية على مصالحة الأمّة. كما أفتى بحرمة إعانة الكفار في حربهم ضد مسلمي العراق بأي شيء حتى التسهيلات الأرضية أو الجوية، وهو ما تفعله الحكومة السعودية، وكذلك بيعهم أي من غذاء أو دواء أو تأجير معدات أو سكن فضلاً عن حمايتهم بالفتوى، في إشارة الى فتاوى المشايخ الرسميين الذين أفتوا ضد مجاهدة القوات الأميركية. واعتبر الشيخ عبد الحميد آل الشيخ مبارك حكم من يفعل ذلك "يدور بين الردة المخرجة من الملة وبين الكبيرة الموجبة لغضب الله".

وقالت الفتوى التي أصدرها الشيخ عبد الحميد: "إن تأمين هذه الجيوش أو إعطاءها أي عهد من أي دولة لا صحة له شرعاً، لأن من شرط ذلك عدم الضرر على المسلمين بالإجماع، والضرر بالغ في هذه الحرب المدمرة، وقبل ذلك فإن أمريكا قد ظاهرت علينا اليهود سياسيا وماديا وعسكريا، فلا عهد لهم بنص القرآن وإجماع الأمة".

وأكد الشيخ عبد الحميد في فتواه ـ وخلافاً لرأي علماء المؤسسة الدينية المتواطئين مع السلطة ـ عدم الحاجة لموافقة الحكومة أو الملك بل يجب عصيانه لـ"أن جهاد هذه الجيوش ومن عاونها من المدنيين فرض عين على جميع المسلمين.. لا يستأذن فيه والد ولا والدة ولا زوج ولا حاكم، بل لو نهى الحاكم عن جهادهم لوجبت معصيته.. فيجب جهادهم جماعات وأفراداً بأي نوع من عمليات الجهاد".

أكثر من هذا، لم تجز فتوى الشيخ عبد الحميد آل الشيخ مبارك مجرد المشاركة في قوات درع الجزيرة لأنها عون لأميركا وحلفائها ضد المسلمين. يقول: "لا يجوز لأي مسلم مدنيا أو عسكرياً، ولو أمره الحاكم، أن يشارك في درع الجزيرة، أو أن يصد أو يتعرض لمن أراد جهاد الكفار بلسانه أو ماله أو نفسه، وأن من فعل شيئاً من ذلك فقد أعان الكافرين على المسلمين".

تجدر الإشارة الى أن الشيخ عبد الحميد المبارك كان قد اعتقل هو وإبنه لعدّة أشهر في أبريل من العام الماضي حين حاول تنظيم مظاهرة في الظهران دعماً للانتفاضة الفلسطينية، وقالت السلطة في محاولة تشويه صورته أنه مختلّ وغير متزن!

المؤسسة الدينية في المملكة

ضحية أخرى من ضحايا الحرب على العراق

يوماً بعد آخر يفقد علماء المؤسسة الدينية في المملكة مقامهم ومكانتهم بين أتباعهم، خاصة في نجد. وقد سبب انحدار مكانة علماء المؤسسة الذين باتوا يعرفون بعلماء السلاطين أزمة بين العائلة المالكة وبين الجمهور السلفي الذي يعتبر من الناحية التاريخية الدعامة الأساسية لنظامها السياسي. فمشروعية النظام الدينية سقطت بسقوط رجال المؤسسة الرسمية (الوهابية) ولم يعد بإمكان جيل كبار العلماء السيطرة على الشارع والتحكم بحركاته والسيطرة على روح التمرد التي بدأت منذ زمن قصير تسري فيه. إن قيمة هذا الجيل الكبير من العلماء تنحصر أساساً في توفير المشروعية، وتتجسد في قدرتهم على إقناع الشارع السلفي النجدي بالإلتفاف وراء أمراء العائلة المالكة، وبغياب هذه الوظيفة تتحقق أكبر خسارة لنظام حكم العائلة المالكة.

إن إخلاء الساحة النجدية لجيل متمرد من علماء السلفية يتمتع بمصداقية أكبر لدى الجمهور السلفي مؤشر صادق على انحطاط مشروعية نظام الحكم، خاصة إذا علمنا أن أغلب هؤلاء العلماء معارضون لنظام الحكم السعودي وكثير منهم أدخلوا السجون لسنوات طويلة، ونموذجهم السياسي نظام حكومة طالبان الذي أفتوا بشأنه أنه النظام الإسلامي الوحيد في العالم؛ كما أن نموذجهم الجهادي والرمزي: أسامة بن لادن. لا يظهر أن التعاطي بالقمع والإعتقال سيلمع صورة رجال المؤسسة الدينية الرسمية، فحتى لو غاب هؤلاء سيظهر علماء جدد من الجيل الشبابي، الذي يرفع شعار الجهاد ووجوبه في كل مكان من العالم، ويدعو لمواجهة الغرب (الكافر) في داخل المملكة وخارجها. بل يمكن القول بأن الفكر المتشدد نشأ في جزء كبير منه داخل السجون والمعتقلات السعودية (راجع مقالة الأستاذ منصور النقيدان في العدد الخامس من الحجاز: خارطة الإسلاميين في السعودية وقصة التكفير) الأمر الذي يجعل المراقب يتوقع بأن المزيد من لجم الجناح المتشدد بآلة القمع لا يزيده إلا قوة ورسوخاً وانتشاراً، ما لم تفتح محابس التغيير السياسي والإصلاح الإقتصادي والإجتماعي.

من جهة أخرى، جاءت الحرب على العراق، لتكشف عن موقفين سلفيين متناقضين، يستمدان رؤاهما من التراث الوهابي نفسه. أحدهما يمثله رجال المؤسسة الدينية المقربين من الحكومة ويتبنون موقفها، من حيث أن الحرب على العراق لا تستدعي مساعدته، وأن العراقيين قادرون على مقاومة (الكفار) وأن الجهاد واجب كفائي (فرض كفاية) وأنه لا يجوز لأحد من المواطنين السفر الى العراق لمقاتلة الأميركيين. ويستبطن الخطاب الرسمي الديني هذا، ما يعتبرونه حقيقة أن القتال الدائر في العراق، هو قتال بين مشركين وكفار، أو بين كفار وكفار، وهي مسألة معروفة في التراث السلفي (الوهابي) وهذا يعني تقليص محدودية (دار الإسلام) الى أدنى حدودها بحيث تشمل فقط أولئك الذين يعترف المذهب الرسمي الوهابي بإسلامهم. أما الجيل الجديد من العلماء فيرى أن القتال واجب ضد الأميركيين بغض النظر عن الموقف من سكان العراق الذين يقعون ضمن الأكثرية (المشركة). ولأن التيار العام في العالم العربي والإسلامي يرى أن الحرب (صليبية) وانها تنتهك حرمة ديار المسلمين، فإن مصداقية رموز التيار السلفي المعارض تكتسب أرضاً جديدة بين الأتباع.

تناغم الخطاب الديني الرسمي مع السياسي الممثل في العائلة المالكة، حط من شأن من يسمون بـ (علماء السلاطين) كما بنظام الحكم السعودي نفسه الذي لم ينجح في تبرير الدعم الذي قدّمه للقوات الأميركية في غزو العراق (قواعد ومطارات وأجواء).

كان يهم العائلة المالكة، أن تنأى السعودية كدولة وشعب عما يجري في العراق، لئلا يزيد من نقمة الأميركيين فيعتبرونها هدفهم القادم بعد العراق. ويعتبر مشاركة السلفيين في الحرب الى جانب صدام والقوات العراقية أمراً مهماً في كشف صورة الإنشقاق الداخلي، ولذا حرص المسؤولون السياسيون والدينيون على إقناع الأتباع الذين تعالى صوتهم بعدم المشاركة بحجج مختلفة. ما يجدر ذكره أن صوت السلفية المتعالي ضد الحرب والجهاد لم يثمر حتى الآن عن مساهمة ولو إسمية في القتال ضد القوات الأميركية في العراق، كما لم يتعرض الوجود الأميركي داخل السعودية، وكذلك الغربي، الى مشاكل طيلة فترة الحرب الماضية، وهذا ما جعل البعض يعتقد بأن السلفيين يمتلكون (بوقاً) جيداً، ولكن بدون إرادة حقيقية للقتال، حتى وإن تماشى مع قناعاتهم الدينية.


الخضيري: لا جهاد في العراق دون موافقة الإمام (فهد)!

وكانت جريدة الوطن السعودية نشرت في السادس من أبريل الحالي تصريحات لعدد من الشخصيات الدينية السلفية الرسمية تدعو المواطنين (السلفيين النجديين بدرجة أساس) لعدم المساهمة في القتال. فقد وجه عدد من العلماء والمشايخ في السعودية الشباب السلفي إلى عدم الخروج لأرض العراق للمقاتلة في الوقت الراهن لأسباب مختلفة تنوعت بين كفاية الفرض، ونقص آلة الحرب، وضعف تنظيم عملية الجهاد، وغموض معتقد راية الحرب الدينية، بجانب أهمية موافقة ولي الأمر (أمراء العائلة المالكة) عند الخروج للجهاد. وقال القاضي بالمحكمة الكبرى الشيخ الدكتور إبراهيم الخضيري إن الجهاد يتطلب موافقة الإمام (الملك فهد) وموافقة الأبوين المسلمين.. وشدد أن عملية 'الجهاد' ليست 'خبط عشواء' بل يجب أن يكون له راية إسلامية واضحة (أي ليس تحت راية البعث). وحث الشيخ الخضيري شباب السلفية على طاعة ولي الأمر لأنه الحاكم الشرعي وله البيعة، فمن يحكم السعودية (أئمة مسلمون على كتاب الله وسنة رسوله وفق بيعة شرعية وإجماع من العلماء وأهل الحل والعقد والرأي والمشورة لذلك وجب التزام الضوابط والنظم التي يضعونها).

ولذرّ الرماد في العيون دعا الخضيري قادة البلاد في مزايدة مكشوفة إلى 'عسكرة' الشعب السعودي خاصة في ظل الظروف الراهنة التي توجب على ولي الأمر تجييش الشباب السعودي وتطوير آلية الدفاع لحماية مقدسات المسلمين وعقيدتهم، مضيفاً: تدريب حتى المرأة لتستطيع حمل السلاح والدفاع عن نفسها وتعلم أمور التمريض للمساعدة في وقت الشدة والحروب. (يجب على ولي أمرنا (الملك) أن يجيّش الشعب ويدربهم تدريبا عسكريا مكثفا وأن تضاعف أعداد الكليات العسكرية، والآلات الحربية لتدريب الشباب السعودي الواعي المدرك ليعلموا كيفية الذود عن البلاد المقدسة عند الحاجة إليهم، مبينا أن البلد في الوقت الراهن أحوج ما تكون لتضافر الجهود من علمائها وساستها لما فيه مصلحتها وحمايتها).

وأخيراً رأى الخضيري عدم مغادرة الشباب السعودي السلفي المملكة لخوض الحرب في العراق لأن أمريكا مع بريطانيا يريدون أن يجمعوا الشباب المسلم ويورطوهم في منزلق خطير لقتلهم شر قتلة.. مبينا (أن القتال مع العدو إذا كان المسلمون غير قادرين على الجهاد منهي عنه).

وفي تبرير العاجز المخذّل أعرب الشيخ الخضيري عن أمل المسلمين في الشعب العراقي حيث إن الجهاد عليهم فرض عين لكن ليس بإسم رئيسهم 'صدام حسين'، وإنما للدفاع عن مقدسات المسلمين وأعراضهم وممتلكاتهم. وعاد فأكد نصحه لشباب المسلمين خارج العراق وفي أي مكان أن لا يدخلوا الحرب لأنها غير متكافئة وهم غير مؤهلين للقتال في هذه الظروف الحرجة ولضعف الآلة العسكرية لديهم مشدداً على الدول العربية والإسلامية أن يعينوا العراق بكل وسائل الإعانة لإهدار طاقة أمريكا، ولامتصاص آلتهم العسكرية، وإهدار اقتصادها.

وعوضاً عن ذلك طالب المسلمين أن يجاهدوا عبر الإنترنت بالكلمة لنشر حقائق الإسلام السلفي والجهاد. وكما تريد الحكومة، دعا الخضيري الشعب الى الإلتفاف حول القيادة السياسية السعودية ونبذ وجهات النظر التي لا تصب في مصلحة الدين والمعتقد والبلد والأمة.

أما الشيخ خالد الغفيلي فلم يؤيد خروج الشباب السلفي دون إذن ولي الأمر لأنه الولي على شؤون المسلمين فيكون بإذنه الشجاعة والجلد والصبر. وشدد على عدم ترجيحه ذهاب الشباب للعراق في الوقت الراهن، ورأى أن ما نراه مجرد حماس وثورة الشباب وعنفوان النشاط الذي بداخلهم مبينا أن 'الجهاد' فرض كفاية، وأهل العراق فيهم الكفاية للقيام بذلك عن بقية المسلمين فلا يوجد متطلبات حقيقية لمجابهة العدوان في أراضي العراق. وزاد الغفيلي أن أهم دوافع الجهاد في سبيل الله هي أن تكون راية الحرب إسلامية أي تحت أمير والذهاب بعشوائية أو تحت راية جاهلية أو غير بينة المعالم يشكك في المقصود.

على صعيد آخر دعا خطيب جامع الأمير خالد بن سعود بالرياض الشيخ عبدالله السويلم إلى عدم استعجال شباب السلف الى الخروج للحرب في الوقت الراهن إلى حين تتضح الأمور ومعالم الأهداف الرئيسة من وراء الحرب. وأضاف بأن من يخرج يجلب مفسدة كأن يترك أبويه أو يفارق عياله وهم محتاجون له! وألمح الى أن القتال في العراق سيكون تحت راية غير إسلامية!

أما الدكتور عبدالله المصلح فاتخذ منطلقاً آخر للتخذيل والتقعيد عن الحرب فقال: إنه مما لا شك فيه أن النصرة والتناصر بين المسلمين واجب وإنه لا بد من أن يغيث المسلم أخاه بقدر ما يستطيع، ولكن أمام الشاب السعودي السلفي المسلم أن يقف موقفا يتأمل فيه الأمر من حيث تحقيق المنافع ودفع المفاسد ولكون الفتوى لا بد أن يراعى فيها الزمان والمكان والأحوال والأشخاص. وتابع إنه (لا يليق بالمسلم أن يذهب في هذه الفترة على الإطلاق) وحدد عدّة أسباب منها: (إن العراق لم يظهر عجزه أمام هذه القوة بحيث يتحول فرض العين منهم إلى غيرهم، ولم يظهر العراقيون للناس عجزهم عن دفاعهم عن بلادهم فهو فرض عين عليهم

السجون تحوّلت الى أوكار لنشوء تيار ديني راديكالي ضد الدولة يقوده معتقلون سابقون من العلماء الشباب

ولكن ليس بفرض عين في حق غيرهم). وثانياً، يقول المصلح: (يجب أن نعتبر بما كان قد وقع في حرب أفغانستان الأخيرة يوم أن ذهب إليها مجموعة من الشباب المتحمسين دون دراسة للأحوال والأوضاع وأصبح كثير منهم مصيدة يتصيدها الأعداء) وثالثاً: (إن النبي يوم أن كان يرى سمية تعذب وبلال يحرق جسده بالصخور الملتهبة لم يكن يطلب من الصحابة مواجهة المشركين في تلك المرحلة لأن وقت المواجهة لم يكن قد أعد له رسول الله العدة).. وأخيراً (فإن مراحل الجهاد تمر بحسب الأحوال، وقوة شبابنا الذين سيخرجون بها ليست سوى صدورهم العارية التي يواجهون بها هذه الكتل الحديدية المسلحة وذلك الحقد الصليبي الدفين).

أما الشيخ سليمان الضحيان فرأى أن الحرب ليست بين جيش كافر غاز ومسلمين عزل: (إن من المخل تصوير المسألة على أنها حرب من جيش كافر على ديار المسلمين). وقال بأن من يريدون القتال مجرد شباب متحمس يتمتع بعواطف جياشة ولكنهم (يقعون في خطأين، أحدهما: إنهم يحملون تصورا سطحيا قائماً على تصوير ما يحدث على أنه غزو جيش كافر لديار الإسلام.. إن


الضحيان: الحرب بين مرتدين وكفار!

عليهم إعادة النظر فيما يحدث هناك).

وكرر الضحيان بأن الحرب في الحقيقة بين فئة كافرة هي جيوش الغرب وفئة مرتدة عراقية: (إن ما يتم هو حرب بين فئتين إحداهما كافرة كفرها كفر أصلي، وهي الجيش الأمريكي والبريطاني، والأخرى نظام بعثي كافر كفره كفر ردة، ويجمع العالم على استبداده، واستهتاره بدماء الشعب العراقي المسلم.. وعليه فإن تصور المسألة شائك جدا، والجزم بحكم شرعي فيها يحتاج إلى مجمع فقهي، ومن التبسيط المخل تصوير المسألة على أنها حرب من جيش كافر على ديار المسلمين دون الأخذ بالاعتبار واقع النظام البعثي هناك ومعاناة الشعب العراقي منه).

وتابع أنه (ليس ثمة مصلحة راجحة في مشاركتهم - السلفيين - في تلك الحرب، فإن فائدة مشاركتهم على أكثر تقدير ستطيل أمد الحرب لا أقل ولا أكثر، وإطالة أمد الحرب – مع ما فيها من فائدة إحراج أمريكا – إلا أن فيها زيادة في سقوط المسلمين الأبرياء نتيجة القصف من القوات الغازية، وفيها أيضا إطالة أمد نظام استبدادي قمعي بعثي كافر، وإن كان بعضهم سيقول إن أمريكا ستنصب حكومة عميلة في بغداد، فهل نظام البعث في بغداد اليوم بعيد عن العمالة؟ وعلّ هؤلاء الشباب الأخيار يعلمون من جاء به إلى حكم العراق؟).

هذه مختصرة الآراء الدينية الرسمية الداعمة للموقف السياسي للعائلة المالكة الخائفة من انعكاسات الحرب عليها داخلياً. وهي آراء تبريرية في أكثرها، وتلحظ النتائج السلبية التي يمكن أن تفرزها الحرب على الصراع الداخلي بين التيار السلفي الجديد وبين رجال المؤسسة الدينية الكبار (وعاظ السلاطين) وامراء العائلة المالكة من جهة ثانية. من المؤكد أن هذه الحرب قد أضعفت آل سعود وحلفائهم الدينيين، ومن شبه المؤكد أنهم سيكونوا ضحايا مواقفهم من الحرب في المستقبل.

فصام سياسي:

البراغماتية السياسية ضد المثل الدينية في السعودية

■ الفصام السياسي الذي عاشته السعودية قبل وخلال الحرب على العراق من المقرر معالجته في الأيام الأخيرة من الحرب وفيما الحسم العسكري يميل الى تفوق قوات التحالف واقتراب نظام صدام حسين من لحظة حتفه الأخير.

الموقف المزدوج للعائلة المالكة من الحرب على العراق، فرضته متطلبات العلاقة الاستراتيجية مع الولايات المتحدة كما فرضته في نفس الوقت الاستجابة لمشاعر السكان الغاضبة على العدوان الاميركي. هذا الموقف يختفي غالباً تحت دخان الحرب ودوي المدافع، وطالما أن الانتباه والانظار منهوبة نحو الجبهات ومراقبة ما يجري عليها من مآسي وتقدم عسكري لهذا الطرف أو ذاك، فهناك تختفي مؤقتاً على الأقل الحاجة لمحاسبة هذا النوع من المواقف.

الحسم العسكري على جبهات الحرب يعقبه غالباً حسماً سياسياً على جبهات أخرى، فالانقسام الحاصل في مواقف الدول حيال الحرب في طريقه للتلاشي فيما يتغلب منطق الواقعية السياسية على المبادىء والمثل طالما بدأت تتكشف الصورة المصيرية للحرب وهكذا المنتصرين والمنهزمين. فالواقعية السياسية تملي على السعودية شأنها في ذلك شأن دول عديدة ترى بأن المصلحة تقتضي الوقوف مع المنتصر، وتجميد التعامل مع المثل حيث تعلو المصلحة فوق المثل، رغم خيبة الأمل الكبيرة التي يصاب بها المتحمسون للدفاع عن القيم العليا، سيما في تلك الحوادث التي توضع القيم أمام إختبار جاد.

إن المساومة السياسية كأحد مميزات الدولة الحديثة تكون مطلوبة على الدوام كأحد وسائل الدبلوماسية وكمقتضى نظام المصالح المتبادلة بين الدول، فيما تتحول المثل الدينية والقيم العليا الى مجرد عناصر إضافية يتم تثميرها في لعبة المساومة السياسية تلك.

السعودية، وبصرف النظر عن طريقة

العائلة المالكة قبلت بعقيدة الدولة فأصبحت العقيدة الوهابية جزءا من وسائلها السياسية

العرض السياسي الذي تقوم به وفي أي زي أيديولوجي ظهرت فهي لا تختلف عن أي دولة من دول العالم، من حيث كونها تستجيب وتتعامل وتتحرك وفق منظومة المصالح المشتركة والمتبادلة، وأن الأيديولوجيا الدينية التي تضفي على الدولة السعودية مشروعية لا تغيّر من حقيقة كونها دولة مصالح ومساومات سياسية وهذه تخضع بالضرورة وغالباً وسيما في وقتنا الحاضر الى قوانين غير أخلاقية أو نظام قيمي واضح، بل تتسم بالتبدّل السريع والسيولة الشديدة تبعاً لاملاءات المصالح ومنطقها.

لم يكن من قبيل العثرة السياسية غير المقصودة أن يصرّح وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل بأن "السعودية تتخذ قرارها من الحرب على ضوء مصالحها القومية". فهذا بالدقة فحوى الموقف السياسي لكل دول العالم في الوقت الحاضر، بصرف النظر عن النوازع الايديولوجية لكل منها. السعودية قررت قبل إندلاع الحرب وبعدها بأن تكون على إستعداد تام للتعامل مع من يحكم العراق سواءً كان بعثياً أو سنياً أو شيعياً طالما أن ثمة مصلحة قومية تقتضي إقامة علاقة مع هذا الحكم أو من أجل درء خطر محتمل قد يشكّله هذا الحكم في المستقبل. في رد على

المؤسسة الدينية تنظر للدولة باعتبارها جهازاً يضطلع بنشر الاسلام في العالم

سؤال طرح على وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل حول طريقة تعامل السعودية مع نظام جديد في العراق بعد رحيل نظام صدام حسين ثمة جانب رئيسي من الواقعية السياسية، فهو يحسم الأمر بوضوح شديد قائلاً: "التعامل مع نظام عراقي يأتي في العراق بعد الرئيس العراقي صدام طبيعي، وستتعامل معه السعودية"، وهذا الموقف يفسّره الأمير بوضوح شديد أيضاً قائلاً "سنتخذ قرارنا على ضوء مصالحنا الوطنية". نذكر هنا بأن تصريحات الأمير سعود الفيصل جاءت قبل اندلاع شرارة الحرب، وهذا يعني أن الفصام السياسي الظاهري الذي أصاب الموقف السعودي لم يكن سوى جزءا من عملية المساومة السياسة مع الداخل والخارج، ولكن يظل هناك موقف استراتيجي للحكومة السعودية تمليه المصالح الخاصة أو ما يفضّل المسؤولون السعوديون تسميته بالمصلحة الوطنية أو العليا.

إن هذا الوضوح الشديد في الموقف السعودي قد يحدث إرباكاً عنيفاً بالنسبة لقطاع واسع من المثاليين الدينيين الذين يرون في الدولة جهازاً موقوفاً لنشر الدعوة، ولربما هذه الصدمة التي يصاب بها بعض المتوسمين في الدولة السعودية هذا الدور الدعوي تفسّر الى حد ما ظهور جماعات راديكالية ناقمة على الدولة وقيامها، فقد حدث في عام ١٩٢٧ أن تمرد قائدا الاخوان فيصل الدويش وسلطان بن بجاد نتيجة توقف عمليات توسع الجغرافيا الدينية للدولة السعودية الوهابية، بعد أن تقررت حدود الأخيرة على الخارطة الدولية. لقد وصم قادة الأخوان زعيمها السياسي إبن سعود بمخالفة القيم الدينية التي ناضل أسلافهم من أجلها وقدّموا أرواحهم من أجل ترسيخها، ولذلك جمعوا صفوفهم ودخلوا في معركة حاسمة مع زعيمهم السابق وسقطوا ضحايا في حرب السبلة التي شارك فيها البريطانيون بالطائرات من أجل إنهاء تمردهم.

هذه النزعة المثالية ظلت مصاحبة لقطاع من المثاليين الدينيين الذي مازالوا ينظرون الى الدولة كجهاز دعوي يجب أن تضطلع بدورها كمؤسسة دينية، ولذلك كانت الانتقادات توجّه الى الحكومة السعودية بكونها لم تضطلع على أكمل وجه بمهماتها الدينية. فرسائل طالب الدين المتحدر من حركة الاخوان الاولى جهيمان العتيبي تحوي كثيراً من النقد العنيف للحكومة السعودية وتدور حول نقطة مركزية واحدة وهي إخفاق الحكومة السعودية في تبليغ الدعوة أو تطبيق الشريعة الاسلامية، كما توجّه هذه الرسائل جزءاً من هجومها على الدولة السعودية بخصوص التحالف مع الكفّار والدول الكافرة ولا سيما الولايات المتحدة. وبطبيعة الحال، فإن الدولة السعودية المدركة تماماً للخلفية الايديولوجية التي تنطلق منها تلك الانتقادات تقف عاجزة عن تقديم تفسيرات سياسية تتسم بالواقعية الشديدة لمجموعة ربطت نفسها بإحكام الى مجموعة القيم التي قد يبدو من الصعب عليها إدراك ماذا تعنيه قواعد السياسة الدولية والمصالح المشتركة التي تشكل جزءاً مركزياً في العلاقات بين الدول.

إن قائمة الانتقادات التي وجّهها فيصل الدويش وابن بجاد وأعاد تكرارها جهيمان العتيبي تبلوّرت بصورة كاملة في الحملة الانتقادية الواسعة النطاق للتيار السلفي الوهابي الذي خاض منذ عام ١٩٩١ معركة مفتوحة مع الحكومة السعودية تحرّكها بصورة نشطة ذات المنطلقات الدينية التي فجّرت إنتفاضة الاخوان القدامى والجدد واخيراً التيار السلفي الحالي. تظهر محتويات "مذكرة النصيحة" التي رفعها أكثر من مائة شخصية دينية وثقافية ينتمون أغلبهم للتيار السلفي الوهابي ماذا يعني أن تكون الدولة السعودية قد فقدت جانباً كبيراً من مشروعيتها الدينية. فالمذكرة تحاول إعادة رسم طريق الدين للدولة السعودية من أجل تصحيح مسارها، فالمذكرة تسرد قائمة الاختراقات الدينية التي قامت بها الدولة السعودية في مجالات السياسة الداخلية والخارجية والتعليم والاعلام والقضاء وهكذا النشاط الدعوي محلياً ودولياً.

إن ثمة رسالة واضحة حملتها مذكرة النصيحة من خلال قراءة دقيقة لمحتوياتها، وهي أن الدولة السعودية غادرت أهدافها النبيلة ونزعت زيها الديني، وبالتالي فإن الحكم الديني في المحصلة النهائية يقضي باعتبارها دولة غير شرعية، ولعل كتاب "الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية" يلتقي في مضمونه مع مذكرة النصيحة من حيث رصف الأدلة على لاشرعية سلوك الدولة. وفي واقع الأمر، إن الحكومة السعودية تتحمل جزءاً من مسؤولية صدور الأحكام الراديكالية ضدها، فهي من غذت تلك النزعة المتشددة في حليفها الديني. ولكن إقناع الأخير بضرورات السياسة تبدو مهمة مستحيلة بالنسبة للدولة السعودية التي تجد نفسها عاجزة عن تخفيف اللهجة الدينية في ممارسة سياسية محضة.

هذا النزوع الدعوي لدى التيار السلفي لم يكن محصوراً في جزء من المؤسسة الدينية دون سواه، فالنضال من أجل نشر المثل الدينية وترسيخها وبثها في أرجاء العالم كان دائماً دوراً يلعبه ويحدث علماء الدين الوهابيون أنفسهم به. ففي رسالة بعث بها المفتي السابق الشيخ عبد العزيز بن باز الى الملك فيصل يحثه فيها على إنتهاز كلمته في هيئة الأمم المتحدة لدعوة قادة ورؤساء الدول الأعضاء في الهيئة الدولية للدخول في الاسلام.

القبول بالقوانين السياسية يعني استعمال الوهابية كأيديولوجية دينية لتحقيق أغراض سياسية

هذه الدعوة قد تبدو مستغربة بعض الشيء وخصوصاً حين ينظر الى الدولة باعتبارها منجزاً علمانياً يحصر النشاط الديني في حدود الممارسة الفردية، ولكن بالنسبة للمؤسسة الدينية بكافة تلاوينها وإتجاهاتها تتفق على أن الدولة يجب دائماً أن تخضع تحت تأثير الدين وأن تلبي تطلعاته ورسالته بحيث تنعكس على سلوكه الداخلي أي مع رعيته وفي الخارج في علاقاته مع الدول والشعوب في أرجاء العالم.

الدولة السعودية تدرك بأن تلك العقيدة الدينية غير قابلة للاستعمال في ظل ظروف دولية شديدة التعقيد، وأن التفكير في إعادة إنتاج نموذج الدولة السائدة في عصر الاسلام الأول أو حتى العصرين اللاحقين لا يعني سوى إسقاط الدولة والتحول الى مجرد حركة دينية. وهذا ما لم يتم ولن يتم طالما أن العائلة المالكة متمسكة بعقيدة الدولة الحديثة التي تملي عليها القبول بقوانين اللعبة السياسية، ومن قوانينها استعمال الوهابية كأيديولوجية دينية لتحقيق أغراض سياسية.

دعوة الى إسقاط النظام

الخوف من القادم في العراق

لم تكن المرة الأولى التي يصرّح فيها وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل بتنحي صدام حسين عن السلطة، فقبل هذا التصريح الصادر في نهاية مارس الماضي، كان وزير الخارجية قد صرّح في مؤتمر صحافي بالرياض في فبراير الماضي وكشف فيه عن مقترحات تقدّمت بها القيادة السعودية لمجلس الأمن في إطار الجهود السلمية لتجنب الحرب. هذه المقترحات لم تكن واضحة حينها ولكن في المقابلة التي أجراها الأمير سعود مع مجلة التايم الأميركية ظهر أن ثمة مبادرة سعودية للاطاحة بالرئيس العراقي.

لماذا تلك المبادرة؟ سؤال تقدّم السعودية عليه إجابات متنوعة، المعلن منها هو تفادي مأساة إنسانية في العراق وتالياً إيقاف الحرب وتوفير غطاء دولي جديد من أجل الضغط على الولايات المتحدة لجهة سحب قواتها من العراق والمنطقة بصورة عامة. أما غير المعلن منها فهو النتائج السياسية التي يمكن للحرب أن تسفر عنها، وخصوصاً قيام نظام حكم غير متوافق مع الرياض، سيما مع قناعة الحكومة السعودية بأن واشنطن قد بدّلت خياراتها السياسية السابقة والتي كانت تلتقي مع السعودية بخصوص تشكيلة الحكومة العراقية القادمة، بالنظر الى إضمحلال الدور السعودي في الموضوع العراقي. فبعد أن كانت السعودية تمثل أحد أبرز الأطراف الفاعلة في حسم القضية العراقية، بموجب التنسيق عالي المستوى بين جهاز الاستخبارات العامة و قوى المعارضة السياسية بكافة فصائلها منذ مؤتمر بيروت الذي انعقد في ١٩٩١ في غضون الانتفاضة الشعبية في جنوب وشمال العراق عام في أعقاب حرب تحرير الكويت والى سنوات قليلة ماضية.

السعودية تدرك تماماً ما تشكله العراق من مخاطر سياسية وثقافية واجتماعية عليها، فإذا كانت ايران قد حالت لغتها الفارسية ومياه الخليج وحربها مع العراق دون اختراق جزء من تأثيراتها السياسية والفكرية للحدود السعودية، فإن العراق الذي سيشهد بلا شك "خضّات" سياسية وفكرية شديدة سيُنقل بعض تداعياته على جيرانه.

هذه الحسابات المقلقة بالنسبة للقيادة السعودية هي على وجه التحديد ما حرّكها نحو تبني حلول قيصرية قبل الوصول الى مرحلة تفقد فيها القيادة السعودية قدرتها على التحكم بأوضاع تتسم بالاضطراب الشديد وبخاصة في أوضاع داخلية مؤهلة لمزيد من التدهور والانفلات.

هل تخسر موقعها في الخارطة السياسية القادمة؟

السعودية المخفّضة إقليمياً

بات الوضع السياسي في منطقة الخليج يقترب من مرحلة السيولة حيث أصبح باب الاحتمالات مفتوحاً على مصراعيه إزاء ما تنتظره المنطقة من ترتيبات سياسية بعد الحرب على العراق، وبخاصة والمشهد العسكري يشارف على النهاية بسقوط النظام العراقي.

الحكومة السعودية التي بذلت جهوداً حثيثة من أجل تفادي الحرب بالطرق السلمية ودرء شبح الحرب عن العراق والمنطقة، وحتى بعد بدء العمليات العسكرية ضد العراق حيث تمسكت السعودية بموقف ثابت لجهة وقف العمليات في أسرع وقت ممكن، أصبحت الآن تترقب ما تقرره قوات التحالف من ترتيبات لاحقة. فالتشدد السعودي من مسألة الحرب على العراق، كما أسلفنا في العدد الماضي، يتجاوز حدود العراق ويتمدد الى السعودية التي أصبح الحديث حول دورها، ومكانتها في الخارطة السياسية القادمة، وحتى مقامها الاقليمي مدرجاً في التفكير الاستراتيجي الأميركي. فحرص الحكومة السعودية على وحدة العراق وسيادته واستقلاله وسلامته الاقليمية وحتى رفضها تعرض العراق للاحتلال العسكري يكاد يترجم بصورة أمينة وواضحة المخاوف السعودية من احتمالات تبلوّر خارطة سياسية جديدة يعاد بها تشكيل النظام الاقليمي وتكون فيه السعودية أحد أبرز الخاسرين في المرحلة القادمة، وقد يعاد بعث فكرة التقسيم من جديد، وهي فكرة قد يكون تطبيقها في المملكة غير الموحدة طبيعياً وغير المنسجمة الأجزاء أسهل بكثير جداً من بلدان أخرى بما في ذلك العراق.

لقد استطاعت المملكة في السابق أن تحقق انسجاماً شبه تام في المواقف السياسية والاستراتيجية مع الولايات المتحدة في مجمل النزاعات التي خاضتها الأخيرة ضد خصومها بما في ذلك حربها في أفغانستان فضلاً عن الحروب السابقة من آسيا الى أمريكا اللاتينية، ولم تجد الحكومة السعودية نفسها في موقف يتطلب منها إعادة أوإطالة التفكير في نزاع ما كانت فيه الولايات المتحدة طرفاً فيه. فقد ضخت أموالاً طائلة في حروب الولايات المتحدة ضد خصومها في نيكاراغوا وكوبا والاتحاد السوفيتي وايران.

الحرب الأميركية على العراق تكاد تكون الاستثناء الوحيد الذي التزمت فيه الحكومة السعودية موقفاً أقرب ما يكون الى المعارضة، لأسباب تكاد تكون واضحة. فأسس التحالف الاستراتيجي قد تبدّلت ولم يعد هناك ما كان يردده المسؤولون السعوديون والأميركيون بتطابق المصالح بين البلدين، بل الفجوة تزداد عمقاً وإتساعاً بينهما بخصوص المصالح الاستراتيجية لكل منهما، فأميركا اليوم لا تقبل بأقل من التزام تام بأجندتها السياسية، وخصوصاً بعد الحادي عشر من سبتمبر التي أصبح شعارها 'من لم يكن معنا فهو ضدنا.' قائمة الخيارات الاميركية في العالم وفي الشرق الأوسط بوجه خاص باتت مرنة الى حد يسمح للإدارة الاميركية بهامش من المناورة السياسية يقلل من إعتمادها على طرف بعينه بما يمنحه قوة تفاوضية أمام الولايات المتحدة. فالاخيرة تنزع اليوم الى التعامل مع عدد من الضعفاء، غير القادرين على فرض شروطهم عليها أو غير المالكين لفرص الاستغناء عنها، بل إن الترتيبات السياسية المرتقب فرضها على المنطقة من شانها تعديل ميزان القوى السياسية لصالح الولايات المتحدة.

هذه الترتيبات السياسية سترهن الأمن الوطني للأمن الاستراتيجي الأميركي، إذ لن يكون بمقدور أي دولة في النظام الاقليمي القادم عمل ما من شأنه تهديد أو إغفال المصالح الحيوية الأميركية دون أن ينعكس ذلك على أمنها الوطني والآثار المترتبة على إستقرارها الداخلي.

لم يكن من قبيل المقامرة السياسية أن تقوم الحكومة السعودية بلعب دور مزدوج لجهة إرضاء الولايات المتحدة وسكانها المحليين. لقد حاولت حكومتنا الرشيدة أن تبعث برسالة تطمينية مليئة بكل الضمانات المطلوبة لتفادي أي آثار جانبية للحرب على العراق قبل اشتعالها، بدءاً من تعهدها بتغطية النقص الحاصل في كمية النفط المعروض في االسوق الدولية، فضلاً عن فتح القواعد والأجواء أمام الطائرات والصواريخ الاميركية.

إن إصرار الحكومة السعودية للحصول على رسالة تطمينية من الادارة الاميركية تفيد بأن ليس هناك أهداف غير معلنة للحرب على العراق أو حتى بعد الحرب، يوحي بأن ثمة ما يثير مخاوف العائلة المالكة وهو ما يمكن إيجازه على النحو التالي: أن الاستقرار السياسي للمملكة ظل منوطاً بنظام إقليمي يسمح لها بضبط أوضاعها الداخلية ويمنحها تفوقاً من نوع ما. ونتذكر بان الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ قد ساهمت بشكل خطير في خلخلة الاستقرار الداخلي وإحداث إضطرابات أمنية واسعة، مما فرض عليها بناء منظومة أمنية واسعة تبدأ بتوسيع جهاز الأمن الداخلي وزيادة صلاحياته إضافة الى الترتيبات الأمنية الاقليمية ولا سيما انشاء مجلس التعاون الخليجي في ديسمبر ١٩٨١ على خلفية أمنية، فقد كان الملف الأمني من أبرز الملفات المتحركة في نشاطات المجلس منذ نشأته وحتى وقت قريب.

ما يدعو للتوقف أن السعودية كانت تبذل جهوداً من أجل أن لا تقع الحرب ولكن مذ وقعت، كان موقفها بأن لا سبيل الى إيقافها، وكأنها تدرك تماماً بأن الأطراف الساعية للحرب تحمل مخططاً أكبر من الحرب ولابد لذلك من درء شبحها، ولكن طالما بدأت الحرب فإن المخطط بدأ تنفيذه، ولذلك بات من الصعب أو المستحيل إيقاف الحرب لأن في ذلك إيقافاً للمخطط الاستراتيجي الأكبر الذي يحمله الأميركيون بالدرجة الأولى، وهذا ما يجعل الحكومة السعودية خائفة. ولذلك يمكن القول بأن لجوء وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل الى الجانب العراقي كأحد إتجاهات المسعى السعودي لوقف الحرب يأتي في أعقاب توصل الحكومة السعودية الى قناعة تامة بأن الادارة الاميركية لم تعد تقبل غير الحرب بديلاً وغير ازالة نظام صدام حسين خيار حل. دعوة الأمير سعود الفيصل المتكررة للرئيس العراقي للتنحي من أجل إيقاف الحرب وتجنيب العراق والمنطقة مأساة سياسية وإنسانية كانت محاولة يائسة أغضبت الجانب العراقي الذي إعتبرها بمثابة إغفالاً متعمداً للعدوان الأميركي على العراق، وبحسب طه ياسين رمضان نائب الرئيس العراقي بأن كان بالأخرى أن توجه الدعوة الى من مارس العدوان من أجل الانسحاب من العراق. وفيما يبدو أن الجانب العراقي فهم بالدقة مضمون الدعوة السعودية وأهدافها، فالنظام السياسي العراقي الذي يقترب من لحظة رحيله يجب أن لا يجّر آخرين معه كالسعودية وهذا ما فجّر الغضب العراقي حيث رأى في مبادرة السعودية استغلالاً دنيئاً.

إن ما يقلق الحكومة السعودية من هذه الحرب التي عجزت عن إيقاف اندلاعها بأن الترتيبات السياسية الاقليمية ما بعد الحرب ستتم هذه المرة بعيداً عن تفاهم جاد أو حتى مشاورة مبدئية معها، ولعل هذا ما سيخلق قلقاً جدياً لدى العائلة المالكة التي تخشى بأن تكون أحد أبرز المتضررين من تلك الترتيبات، إن لم تكن أحد ضحاياها وخصوصاً حين يكون النظام الإقليمي القادم مرتكزاً على 'تشققات جيوبوليتيكية' في المنطقة.

غالباً ما كانت الحكومة السعودية تلجأ منفردة الى الولايات المتحدة كيما توصل وجهات نظرها في الملفات السياسية الاقليمية، ولكن هذه المرة ستضطر للجوء الى أصدقاء الولايات المتحدة وقد تلجأ للجامعة العربية من أجل تقوية موقفها السياسي العربي كجزء من محاولة التعويض عن خسارة موقعها كحليف للولايات المتحدة. وبطبيعة الحال، فلا يمكن التعويل كثيراً على دور الجامعة العربية الخاضعة بدورها لمتغيرات سريعة في ظل انفلاش عربي متواصل، ولكن هي محاولة لبناء أو لترميم تحالف عربي يتألف من مجموعة دول متضررة مثل سوريا ومصر والسعودية وربما دول أخرى من أجل مواجهة المخططات السياسية القائمة.

الحكومة السعودية تخشى أن تفقد القدرة على بناء تحالفات سريعة وصامدة في وجه الترتيبات الجيوسياسية في المنطقة، خصوصاً وأن المؤشرات تفيد بأن الإدارة الاميركية ستملي شروطها تحت تهديد السلاح، أي في ظل حشود عسكرية أميركية متواجدة في المنطقة. فالتصريحات المخيفة التي صدرت عن السفير الأميركي في أنقره بأن فترة إقامة القوات الأميركية في العراق قد تصل الى ٢٥ عاماً تحمل نذير شؤم على العراق والمنطقة والسعودية بوجه خاص، إذ أن تواجد حشود عسكرية وبأعداد كبيرة في منطقة ما يمارس ضغطاً سياسياً شديداً على الدول القريبة منها، كما يخبرنا علم الاستراتيجيا، وهذا ما كان يصرّح به الرئيس الأميركي جورج بوش قبل اندلاع الحرب حيث كان يردد أمام مجلس الأمن بأن الحشود العسكرية بالقرب من العراق هي لممارسة المزيد من الضغط على النظام السياسي في بغداد من أجل الكشف عن أسلحة الدمار الشامل.

وجود الحشود العسكرية في المنطقة يعني بكلمة أخرى توافر فرص التدخل العسكري فيما لو قررت الولايات المتحدة فرض إرادتها على أي من دول المنطقة. ولذلك تحاول الحكومة السعودية تذكير حليفها الاستراتيجي بمبدأ المصالح المشتركة والتعاون المشترك والمنافع المتبادلة التي حكمت العلاقات الثنائية بين الحكومتين طيلة عقود طويلة. ثمة حاجة للإشارة هنا الى أن المتغير السياسي في العراق سيأتي بمتغيرات إقتصادية كبيرة ومؤثرة في اقتصاديات المنطقة برمتها وهذا ما سيضعف القدرة التفاوضية السعودية في موضوعات الاستثمار الغازي والنفطي مع الشركات الأميركية حيث ستكون أمام الأخيرة فرصاً إستثمارية جديدة وربما مغرية بالمقارنة مع فرص الاستثمار في السعودية.

يستريح المسؤولون السعوديون الى مقولة مفادها بان الولايات المتحدة ليست لديها طموحات إمبريالية في المنطقة، بناءً على أن نصف المليون جندي أميركي الذين وصلوا الى السعودية عادوا جميعاً الى بلادهم فور الانتهاء من حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١. ولكن هذه المقولة تبقى مجرد محاولة لتضليل الذات بأن ما حدث في ذلك العام هو بهذا التصوير العاجل والساذج في آن، فالاتفاقيات الدفاعية والاقتصادية التي حصدتها الولايات المتحدة من دول الخليج وبناء القواعد العسكرية في الكويت وقطر والسعودية هي أثمان يراد إسقاطها عمداً من فاتورة الحرب وتكاليفها الباهضة.

ثمة مسألة شديدة الصلة بالترتيبات الجيوسياسية القادمة في المنطقة والتي غالباً ما يتم إهمالها ولكن هي تمثل بلا شك محوراً هاماً في الاستقرار السياسي للسعودية. هذه المسألة تطرح في سياقها الصحيح وهي مواجهة التحديات الخارجية وأيضاً الداخلية، وهي مسألة الاصلاح السياسي. فهناك إجماع بين القوى السياسية والاجتماعية والدينية في السعودية بأن الاصلاح السياسي وحده الكفيل بجبه التحديات التي تواجه البلد سواء من الولايات المتحدة كقوى تهديد محتملة للاستقرار الداخلي أو لمواجهة الاحتقانات الداخلية القابلة للتفجر في صورة أعمال عنف وإضطرابات أمنية غير متوقعة. المشكلة دائماً أن الحكومة السعودية تضع مسألة الاصلاح السياسي في سياق متعارض حين تنظر اليه لا بوصفه حلاً لمشاكل أمنية قابلة للتفجر ولكن تنظر اليه كجزء من تلك المشاكل ولذلك يجري التعامل مع الاصلاح السياسي من منظور أمني ويعالج أيضاً وفق تصورات أمنية في الغالب.

مقالة

أميركا والتلويح بالديمقراطية مجدداً

بمقدار ما يبعث الحديث عن الديمقراطية الأمل وسط حشود ضحايا الاستبداد، فإن ثمة مخاوف أيضاً يثيرها هذا الحديث في الاوساط الشعبية العربية والاسلامية. فتصريحات الساسة الأميركيين حول تشجيع ودفع المشاريع الديمقراطية في السعودية وبلدان شرق أوسطية أخرى قد لا تقل من حيث العدد عن وعود الملوك والأمراء السعوديين بإحداث اصلاحات سياسية ذات مضامين ديمقراطية في الحكم، فالتصريحات الأميركية كما الوعود السعودية تعود الى عهد الرئيس جون كينيدي في الستينيات.

إن السلوك السياسي الأميركي غير الديمقراطي وخصوصاً خلال السنوات الأخيرة إذ باتت لغة الساسة الأميركيين تقترب الى حد كبير من لغة مستبدي العالم الثالث من حيث إعتمادهم قاعدة "من لم يكن معنا فهو ضدنا" يقلل من أهمية التصريحات الأميركية حول الديمقراطية في بلدان حليفة للولايات المتحدة، طالما أن المصالح الاستراتيجية والحيوية مكفولة من حكام مستبدين.

كانت الإدارة الأميركية ومازالت ومن خلفها مجموعة من المؤسسات البحثية والأكاديمية تربط بدرجة وثيقة بين المصالح الحيوية الأميركية وتشجيع الديمقراطية، فالقضية بالنسبة لهم لا تتعلق من قريب أو بعيد بدرجة كفاءة شعوب أو دول حليفة للممارسة الديمقراطية بل الى ما تشكّله الديمقراطية من مصلحة أو مضرّة بالنسبة للولايات المتحدة. ولطالما نكصت الادارة الأميركية عن تبني خيار ديمقراطي في الشرق الأوسط لأن الخبراء والباحثين المساهمين في تشكيل أجواء القرار السياسي الأميركي يرون بأن الديمقراطية تحمل أخطاراً جمة على المصالح الاستراتيجية الأميركية في المنطقة، ولذلك كان الرأي المجمع عليه وسط عدد كبير من الباحثين الأميركيين من الاتجاه المتشدد بأن الديمقراطية قد تؤدي الى اختطاف السلطة وسقوطها بأيدي المتطرفين، ولطالما أيضاً أستثنيت السعودية من الاجندة الديمقراطية الأميركية بناءً على مدعيات قريبة من هذه.

اليوم والولايات المتحدة محاطة بسحابة كثيفة من الشكوك والاتهامات بسبب عدوانها على العراق وسلوكها السياسي الدولي غير القانوني وغير الأخلاقي تعيد تشغيل الاسطوانة الديمقراطية مجدداً وهذه المرة بلغة صارمة وجازمة.

ففي تصريحات مثيرة لرئيس الإستخبارات المركزية الأميركية (سي.آي.أيه) السابق جيمس وولسي في الرابع من أبريل جاء أن الولايات المتحدة تخوض الآن الحرب العالمية الرابعة. وقال وولسي بان:"نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط لا بد أن يجعل دولاً مثل مصر والسعودية تشعر بالقلق".

وكان وولسي في لقاء أمام حشد من طلبة جامعة لوس أنجلس، قد حذّر بطريقة مثيرة الرئيس المصري حسني مبارك والأسرة السعودية من أن الديمقراطية وفق الأسلوب الأميركي آتية في الطريق. وقال بأن واشنطن ستمضي قدماً باتجاه تدشين شرق أوسط جديد خلال السنوات، وقال بأن:"العقود المقبلة سوف تجعل الكثيرين في غاية القلق". وقال وولسي مخاطباً الرئيس مبارك والأسرة المالكة في السعودية "نريدكم أن تشعروا بالقلق، وأن تدركوا الآن للمرة الرابعة خلال مائة عام أن الولايات المتحدة وحلفاءها ماضون قدماً، وإننا نقف في صف أكثر من تخشونهم، يا عائلة مبارك والأسرة المالكة السعودية: نحن نقف في صف شعبكم". وأضاف قائلاً:"في الوقت الذي نمضي فيه قدماً بإتجاه شرق أوسط جديد خلال السنوات وأعتقد العقود القادمة..فسوف نجعل الكثيرين في غاية القلق. ويجب أن يكون رد فعلنا هو:هذا جيد".

> **الديمقراطية كما الاسلام بالنسبة للسعودية باتت جزءا من اللعبة السياسية ما لم تثبت الادارة الاميركية العكس**

وفي تطور مواز لهذه التصريحات وتأكيداً على نوايا الإدارة الاميركية للمضي قدماً حيال تشجيع الاصلاحات السياسية في الشرق الأوسط وبخاصة مصر والسعودية، أصدرت وزارة الخارجية الأميركية ما أطلق عليه "بيان حقائق" أعاد تأكيد النقاط التي وردت في الخطة المعروفة بمبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط، أكد فيه على أن مبادرة الشراكة من شانها زيادة الفرص الاقتصادية والسياسية والتعليمية للجميع.



شراكة أم فرض الديمقراطية؟

ومن المقرر أن يشغل نائب وزير الخارجية الأميركي ريتشارد أرميتاج منصب منسق المبادرة، وسيدير المبادرة مكتب شؤون الشرق الأدنى التابع لوزارة الخارجية. وتتضمن المبادر محاور أساسية في عملية الاصلاح على الطريقة الأميركية وتشمل التعليم والاصلاح الاقتصادي وتطوير القطاع الخاص وأخيراً دعم المجتمع المدني، وصولاً الى تحقيق شروط الانتقال الى الديمقراطية.

ويتضمن دعم المجتمع المدني النقاط الرئيسية التالية:

- تأهيل ودعم المنظمات غير الحكومية والأفراد المنتمين الى جميع الفئات السياسية الناشطة في مجال الاصلاح السياسي من خلال آليات كصندوق ديمقراطية الشرق الأوسط.
- التشجيع على إنشاء المزيد من المنظمات غير الحكومية وشركات وسائل الاتصال المستقلة، ومنظمات إجراء إستطلاعات الرأي والاستفتاءات الشعبية ومؤسسات الفكر والرأي والجمعيات التجارية كمجموعات من شأنها خلق أسس ديمقراطية نابضة بالحياة.
- دعم برامج من شأنها زيادة شفافية الأنظمة القانونية والتنظيمية وتحسين إدارة العمل القضائي.
- تدريب المرشحين لمناصب سياسية ولأعضاء المجالس البرلمانية وغيرهم من المسؤولين المنتخبين.
- تدريب وتبادل الصحافيين في كل من الصحف التقليدية والصحافة الالكترونية.

يجب الاشارة هنا الى أن المشروع الديمقراطي الأميركي لم يعد التعامل معه محايداً ونزيهاً بل هناك من يضعه في سياق مشروع سياسي أميركي لتشديد القبضة على منطقة الشرق الأوسط. فالديمقراطية كما الاسلام بالنسبة للسعودية أصبحت جزءا من لعبة سياسية تديرها الولايات المتحدة ضد حلفائها اللدودين، فرغم ما تمثله كأيديولوجية مشرعنة للنظام السياسي الأميركي، فإن الديمقراطية، كما تديرها وتقدّمها وتهدد بها الادارة الاميركية، أصبحت سلاحاً سياسياً ضد الأنظمة السياسية، وأداة إمبريالية ضد شعوب المنطقة.

حين تكون المواطنة السعودية فاقدة المعنى

سعودي يقاتل الى جانب الأميركيين في العراق

في الوقت الذي تقوم به السلطة السعودية بـ (تنجيد) المؤسسات الحكومية، وفي الوقت الذي أضحى فيه الإنضمام الى الجندية حكراً على فئات محدودة، تستثني مناطق ومذاهب وقبائل معيّنة قد لا تدين بالولاء للنظام السعودي، أو هي مشكوكة الولاء.. فاجأت صحيفة وول ستريت جورنال الأميركية الرأي العام السعودي بخبر عن شاب سعودي يحمل الجنسية الأميركية يقاتل الى جانب الأميركيين في حربهم ضد العراق. الشاب كما تقول الصحيفة من أب سعودي وأم أمريكية مسلمة من شيكاغو ويقيم في الولايات المتحدة، وهو جندي في الجيش.

وذكرت صحيفة "وول ستريت جورنال" في عددها الصادر في الخامس من أبريل الجاري أن الشاب السعودي الأمريكي، يوسف الغامدي، التحق بالجيش الأمريكي بعد أحداث ١١ سبتمبر، وهو يبلغ من العمر ٢٢ عاماً وقد ولد في مدينة جدة التي أكمل شهادته الثانوية فيها ثم التحق بالعمل في شركة أرامكو السعودية. ولكن حبه للمغامرة والبحث عن فرص جديدة في الحياة جعله يغادر أرامكو ويذهب إلى الولايات المتحدة لزيارة أقاربه الذين كان يقضي معهم أوقات الصيف في مدينة شيكاغو. وأضافت الصحيفة أنه (بعد حوالي عامين من العمل لدى أرامكو ذهب إلى شيكاغو لزيارة أقاربه وللتفكير في بعض الأمور وكان في سيارة أجرة متجهاً إلى مطار لاغورديا في نيويورك يوم ١١ سبتمبر عندما شاهد واحداً من أبراج مركز التجارة العالمي يتحول إلى كرة من اللهب. ونظر إلى الطائرة المخطوفة الثانية وهي ترتطم بالبرج الآخر. وبعد ثلاثة أشهر من ذلك التحق بالجيش الأمريكي ولم يخبر والديه لأنه كان يعرف أنهما سيعارضان قراره).

ويصف يوسف الغامدي نفسه بأنه وطني (أمريكي)، ويعمل سائق دبابة في الكتيبة ١٦٦ المدرعة في مدينة فورت هود بولاية تكساس التي اتجهت إلى الكويت للمشاركة في الحرب على العراق. وقد طلب الغامدي من قائد وحدته أن يسمح له بتغطية اسم العائلة الذي يلبسه على شارة الاسم التي يعلقها الجندي على صدره لكي لا يثير عداء وكراهية العرب. ومع هذا، تصنف الصحيفة يوسف بأنه متدين جداً، ولا يقبل من الأكل إلا ما هو (حلال) حيث يقوم الجيش الأمريكي بتقديم الوجبات (الحلال) للجنود المسلمين العاملين فيه. ويعود سبب عدم إخبار يوسف لوالديه بالتحاقه بالجيش الأمريكي، حسب الصحيفة، إلى أن والده يرى أنه لا يليق برجل سعودي أن يلتحق بأي جيش غير الجيش السعودي، بينما تعارض والدته المسلمة الفكرة من قبل أن تتزوج أباه، لأنها ترى أن الجيش مرتع للمخدرات والشذوذ الجنسي والانحراف.

من جهة أخرى ترى الصحيفة "أن يوسف الغامدي قد يعاني من التمييز في الجيش الأمريكي ليس فقط لأنه سعودي – وهذا يعيد لأذهان الأمريكيين أحداث ١١ سبتمبر، بل ولأنه مسلم، خاصة وأن حسن أكبر – الجندي الأمريكي المسلم، ألقى القنابل اليدوية والسلاح على زملائه في الكويت". ولكن الصحيفة تؤكد أن رؤساءه لا يرون فيه إلا جندياً مخلصاً ولا يظهر عليه بوادر التمرد أو الخيانة للجيش الأمريكي. كما يرون أنه ذو فائدة في شرح الفروق الثقافية وتفهيم الجنود الأمريكيين بما قد يعتبر غير لائق عند العرب – خاصة المدنيين العراقيين.

وهكذا تنتصر الوطنية الأميركية على الوطنية السعودية التي تفرّق بين حاملي الهوية والجنسية والقائمة على التمييز بين المواطنين. ولو أن الغامدي تقدّم للعمل العسكري في الجيش السعودي لربما جاءه الرفض.

العار الوهمي الذي تستشعره الحكومة السعودية أو حتى المتلبسين بمشاعر وطنية وهمية يسيئهم رؤية أحد المحسوبين عليهم وهو يشارك في جيش أميركي متناسياً ما يجب عليه بحسب الأعراف القبلية والتقاليد العربية والهوية الشرقية الدينية الا يكون ضالعاً في ما فيه جلب العار والشنار لأهله وعشيرته. ولكن ما نسيه الواهمون هو إخفاقهم الذريع في بناء مشاعر وطنية حقيقية وتنشئة ثقافة وطنية، فالدولة التي لا يتميز مواطنوها عن غيرهم سوى بجواز سفر أخضر بات منبوذاً في مطارات العالم.

لماذا يلام الغامدي الأميركي على مشاركته في العدوان الأميركي على العراق، ولا تلام الحكومة على فشلها في صناعة وعي وطني وفي تشجيع الناس على حب أوطانهم، التي بات كثيرون يفضلون اخفاء هويتهم (السعودية) لأنها لم تعد تمثل هوية مشرّفة ولا تحمل عزة لهم، فلا هي تحمل خصائص وطنية شاملة، ولا هي تمثل رمزاً وطنياً حقيقياً أو تعكس تراثاً وتاريخاً ومجداً يستحق الاشادة والافتخار. هناك كثيرون يرفضوا أن يقال عنهم سعوديين لأن في تلك النسبة إهانة وعبودية وإذلالاً، وفيه أيضاً محو واستئصال لكل ما يربط المنتسبين من انشدادات عائلية وتاريخية وثقافية، ولكل ما هو عزيز الصلة عليهم من أرض، وذاكرة جماعية، وتقاليد في الأكل واللبس واللهجة.

الغامدي الأميركي رغم ما يشكله من مثال صارخ على غياب الرابطة الوطنية التي تحول دون اختراق المحرمات ومنها العدوان الأميركي على العراق، الا أن الأمثلة على غياب تلك الرابطة ولكن في غير هذه المواضع تكاد تسد عين الشمس، فالوطن الذي لم يولد بعد لا تتوقع أن يولد منه مواطنون يرعون مشاعر وهمية لدولة غير وطنية لأن منهم من حارب تحت العلم الأميركي، فهناك من لديهم استعداد لممارسة الطب والتعليم والهندسة والبناء والطيران في أميركا وأوروبا لأنهم يشعرون بالكرامة في غير وطنهم.

قضية

السعودية: تأمين مهرب للرئيس العراقي

قبل بدء معركة بغداد الحاسمة في الحرب الأنجلوأميركية على العراق، كانت ثمة محاولات جادة تجري وبوتيرة متسارعة في عواصم كل من سوريا والسعودية وتركيا. فالسعودية التي ما فتئت توظف نشاطها الدبلوماسي في الاسبوعين الأخيرين من مارس الماضي من أجل وقف الحرب على أساس صفقة سياسية تحقق مهرباً آمناً للرئيس العراقي في مقابل وقف الحرب، كانت قد كرّست بعض رجال استخباراتها للقيام بمهمة في غاية السرية والأهمية كجزء من مهمة اللحظة الأخيرة.

فقد ذكرت مصادر صحافية غربية بأن رحلة باول إلى أنقره في الثاني من أبريل كانت تحمل أهدافاً تتصل بدرجة أساسية بمحادثات حول إستسلام العراق أكثر من كونها متصلة بالسلوك التركي الفاتر إزاء موضوع التعاون مع المجهود الحربي الأميركي. فالموفدون السعوديون طاروا من بغداد عبر العاصمة السورية دمشق ليلتقوا بوجه خاص بالوزير باول وتسليمه إجابات من بغداد وإشارات تفيد بأن ثمة استعداداً لدى الجانب العراقي للدخول في مفاوضات سرية بين الأميركيين والعراقيين بنيابة سعودية، أي أن صفقة سياسية يراد لها أن تتم من أجل إنهاء الحرب وهروب الرئيس العراقي صدام حسين.

فالسبب إذن، حسب تلك المصادر الصحافية الغربية، والذي أرسل من أجله الرئيس بوش وزير خارجيته الى تركيا بدلاً من مبعوثه الخاص زلماي خليلزاد كان، أي السبب حسب ما تصف هذه المصادر الصحافية هو السخط السعودي من خليلزاد الذي تتهمه الحكومة السعودية بأنه لعب دوراً رئيسياً في الحرب الأفغانية لتقويض سمعة المملكة في الولايات المتحدة ووصم الأمراء باعتبارهم مموّلين لتنظيم القاعدة الارهابي. باول، على العكس من ذلك، يحتفظ بعلاقات تعاونية ودافئة بولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز منذ بعض الأسابيع التي سبقت الحرب على العراق.

فالمراهنة السعودية القوية في الحاصل النهائي للأزمة العراقية تعود الى أن السعودية هي الحكومة العربية الوحيدة التي تسعى لتطوير روابط مع القبائل السنية في العراق قبل وخلال الحرب العسكرية. فضباط المخابرات السعوديون والذين يعتقد بأنهم قاموا بزيارات متكررة للعراق خلال الاشتباكات العسكرية في الاسبوعين الأخيرين من مارس الماضي قد يكون أيضاً حضروا اجتماعاً سرياً مع باول في أنقره.

وذكرت بعض المصادر الصحافية الغربية بأن السعوديين فتحوا خطاً مباشراً مع صدام حسين وإبنيه عدي وقصي. وحسب المصادر الصحافية تلك بأن المحادثات السعودية العراقية سلطت الضوء على شروط قبول صدام للمنفى والتي تشمل ضمانات من أجل عدم المساس بحساباته البنكية الخاصة أو سرية حجم ثروته وتوفير مكان آمن له ولأبنائه وعائلته.

في الأيام التي سبقت إعلان الحرب على العراق وافقت واشنطن على مجرد طريق آمن لصدام وإثني عشر من أعضاء عائلته المقربين للهروب من العراق. أما مصير الباقين، فقد كان التصميم الأميركي نهائياً في القبض على محاكمة القادة العسكريين والسياسيين العراقيين باعتبارهم مجرمي حرب.

موفدون سعودون جاؤوا لبغداد خلال الحرب للتفاوض مع صدام لإنهاء الحرب مقابل منفى في السعودية

ورغم أن صدام حسين رفض العرض الأميركي، وهذا ما عجّل بقرار إطلاق الصواريخ والطائرات العسكرية نحو العراق في العشرين من مارس الماضي، أي بعد ثمان وأربعين ساعة من المهلة النهائية التي أعطاها الرئيس الأميركي بوش للرئيس العراقي صدام حسين، الا أن الموفدين السعوديين أبقوا على قنوات الإتصال مفتوحة مع كل من القبائل السنية وعشيرة صدام حسين. فقد وعد الموفدون السعوديون زعامات القبائل السنية بتوفير كل ما يحتاجونه من المال والطعام والدواء وباقي الاشياء الضرورية سواء خلال الحرب أو بعدها. فقد توصلوا مع وجود صدام على رأس السلطة الى تفاهم بأنهم ـ السعوديون سيتحملوا مهمة توفير الحاجات الأساسية للقبائل السنية فور انفراط عرى السلطة وانحسارها مع تضييق قوات التحالف الخناق على النظام.

إن المخاوف الأميركية من ضلوع أطراف مجاورة في مساعدة النظام العراقي في الحرب قد تركزت على الحدود الغربية والشمالية الغربية للعراق وخصوصاً سوريا التي تصنّف واشنطن رئيسها في خانة الحلفاء للرئيس صدام حسين، ولعل ذلك ما دفع بوزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد الى توجيه رسالة شفوية وعبر وسائل الاعلام الدولية تحمل إخطاراً بلهجة تقترب من الانذار من تورط سوريا في ترتيبات سرية مع النظام العراقي بما يشكل ضرراً بالأجندة السياسية والعسكرية الأميركية.

ولكن ما لم يجر الكشف عنه هو الدور السعودي في تسهيل عملية هروب صدام حسين وعائلته من العراق الى سوريا وربما من هناك الى الرياض او مدينة أخرى داخل المملكة. وعلى أية حال، فإن الترتيبات السورية السعودية من أجل مساعدة صدام على الهرب قبل إحكام القبضة الأميركية على بغداد قد سبب إزعاجاً شديداً لواشنطن التي اعتبرت التحركات السورية السعودية مؤامرة ضدها بما يجهض الهدف الذي من أجله زار باول تركيا. وعلى أية حال فإن الترتيبات تلك فشلت ميدانياً بدون أسباب واضحة ويبدو أن الجانب الأميركي أراد توجيه رسالة عملية لكل من سوريا والسعودية بأن الترتيبات تلك غير قابلة للتحقق طالما أن الأمور تسير على غير وفق الإرادة الأميركية.

إن الفشل السريع الذي أطاح بالجهود السرية السعودية قبل وخلال أيام الحرب الأميركية على العراق من أجل وقف اطلاق النار وتأمين مخرج طوارىء لرأس النظام في بغداد، قد صاحبه فشل آخر في الدبلوماسية السياسية العلنية، فالمبادرات السعودية التي تلاحقت قبل وخلال الحرب من أجل إيصال رسالة تطمينية واضحة لكل من الولايات المتحدة والنظام العراقي، إنتهت الى نوبة سياسية شديدة بين الرياض وبغداد، حيث وجّه نائب الرئيس العراقي طه حسين رمضان الذي كان طرفاً مباشراً في مفاوضات سرية مع الموفدين السعوديين بخصوص تهريب الرئيس العراقي ومجموعة صغيرة من عائلته وأفراد حكومته، وجّه انتقاداً شديداً للدعوات السعودية بتنحي الرئيس العراقي عن السلطة واصماً الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية بالعمالة للولايات المتحدة.

السعودية ومخاوف ما بعد الحرب

الحرب على العراق خلقت بوادر عاصفة سياسية وشيكة ستشهدها المنطقة، ولابد أنها قوّضت الهدوء النسبي الذي كان يسود الحدود الخارجية للمملكة، ولكن ثمة متغيرات سريعة تنذر ليس بتوتير الاجواء السياسية الاقليمية بل وما ستحمله من متغيرات جيوسياسية، فثمة مخاوف تتنامى في الوسطين الرسمي والشعبي في السعودية بأن المملكة قد تكون الهدف التالي في قائمة الحرب الأميركية. بيان عدد من رجال الدين في التيار السلفي قبل اندلاع الحرب على العراق قد أشار بقوة الى أن الحرب على العراق ما هي الا مقدمة لإعلان الحرب على الاسلام المتمثل في الحركة الوهابية. فهناك ثمة اعتقاد بأن الولايات المتحدة لن تتوقف عند العراق، بل هناك إتجاه في الادارة الاميركية حسب بعض السعوديين يدعو الى مواصلة الحرب لتصفية

الصقور في الإدارة الأميركية: إقامة نظام ديمقراطي في العراق سيؤدي الى تغييرات متوالية في المنطقة

التيار الراديكالي الديني في السعودية باعتباره المسؤول الأول عن تنمية مشاعر العداء ضد الولايات المتحدة وعلى تعاليمه نشأ تنظيم القاعدة الذي قاد أفراده الطائرات الانتحارية في الحادي عشر من سبتمبر. إتجاه آخر يرى بأن الولايات المتحدة ستقوم بفرض خارطة سياسية جديدة للشرق الأوسط ستفضي الى تخفيض مكانة السعودية ودورها الاقليمي، وبالتالي فإن الحرب على العراق لن تنتهي حسب الصحافة السعودية الا وستبدأ في أجزاء أخرى من المنطقة وفقاً لاستراتيجية أميركية تستهدف أساساً إعادة رسم خريطتها السياسية.

يتحدث كثير من السعوديين وبخاصة المنتمين للمؤسسة الدينية وعلى شاشات التلفزيون الحكومي بكثير من الصراحة عن عدائهم للولايات المتحدة، بل وتحليل طبيعة العلاقة بين الأخيرة وبلادهم فقد باتوا يدركون أن أهمية السعودية بالنسبة للولايات المتحدة تعود الى ما تملكه الاولى من احتياطي نفطي هائل، وهو ذات المبرر الذي أشعل فتيل الحرب الأميركية على العراق، التي تأتي في المرتبة الثانية من حيث حجم الاحتياطي النفطي في العالم.

فقد كان الهدف من الحرب كما هو واضح ومتداول أيضاً هو أن العراق سيلي السعودية في موضوعات كثيرة وأهمها النفط. فالحرب من أجل النفط ليس شعاراً مناهضاً للولايات المتحدة بل بات جزءاً أساسياً من تحليل شديد التعقيد، فقد بات النفط يحرّك كل قرار وهجوم أميركي على العراق. ولذلك فإن بوش وتشيني أصرا على شن الحرب على العراق سواء كان ذلك مبنياً على موافقة أو عدم موافقة الامم المتحدة فهذه الحرب هي حرب النفط ولابد ان تقع حسب اللوموند الفرنسي.

الاستراتيجية الأميركية في الحرب على العراق تستند على رؤية سياسية تقول بأن تغيير الحكم في بغداد من شأنه أن يغير خارطة المنطقة بأكملها، فيما يعتقد فريق من دعاة الديمقراطية في السياسة الأميركية بأن إقامة نظام ديمقراطي في العراق سيكون عاملاً مساعداً لتغيير ديمقراطي في كل المنطقة، مما يمكّن الولايات المتحدة من ممارسة ضغوطٍ متزايدة على السعودية لإجراء إصلاحات سياسية، والتي مازالت تواجه من قوتين معارضتين: الجناح السديري والمؤسسة الدينية، وهما بالمناسبة يلتزمان موقفاً معارضاً للحرب على العراق لنفس المبرر.

السعودية تخشى ما يدور في الذهنية السياسية الأميركية، فقد باتت عاجزة الآن عن التنبوء بما يدور في الدوائر السياسية بواشنطن وخصوصاً حين يرتبط الأمر بالموقف منها بعد الحرب. غير أن ثمة قلقاً يتزايد في الرياض من أن هناك في واشنطن من يريد إنهاء حكمها أو إضعافه الى القدر الذي يجعلها خاضعة لإملاءات المرحلة القادمة.

السعودية أصرّت على محاربة فكرة تقسيم العراق وناضلت من أجل إخماد الأصوات التي تحاول إثارة موضوع التقسيم، لا لأن السعودية حريصة على وحدة التراب العراقي، بل لأنها تخشى من إنتقال العدوى الى بلادها، فهي تدرك بأن التقسيم في العراق يعني وفقا للخطوط الدينية والعرقية اقامة معقل شيعي بالقرب من الحدود الأمر الذي يمكن أن يحرض الأقلية الشيعية في المملكة.

وإذا كانت تلك الافكار المخيفة تواجه في السابق رفضاً ومن واشنطن قبل الرياض

حرص السعودية على وحدة التراب العراقي ينبع من مخاوف إنتقال عدوى التقسيم إليها

وبناءً على عقيدة السعودية بأن تحالفها مع واشنطن وحده كفيل بدرء خطر التقسيم عنها، فإن تلك الأفكار باتت تصدر من واشنطن نفسها، أي من حليفها الاستراتيجي الذي يرى منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر بأن التخلص من العائلة المالكة بات خياراً مفضّلاً من أجل تحديث السعودية سياسياً وأيضاً للتخلص من تهديدات كامنة مازال التيار الديني وثقافته الراديكالية يشكلها ضد الولايات المتحدة. وبحسب مراقبين غربيين فإن وجود القوات الأميركية في المنطقة وقيام حكم سياسي في بغداد تدعمه واشنطن سيشجّع كثير من السعوديين على التحرك من أجل الضغط على العائلة المالكة كيما تدخل إصلاحات سياسية جوهرية في الحكم أو سيضطرون للجوء الى واشنطن من أجل تحقيق هذا الغرض.

السعودية: الاصلاح أو الدمار

إنتهت معركة الإستبداد.. ومواجهة الإستعمار قادمة

إعتبروا فساعة الرحيل ليست بعيدة كثيراً

تبخّرت أسطورة الحرس الجمهوري، والحرس الجمهوري الخاص اللذان "إنتحرا على مشارف بغداد".

فدائيو صدام وجيش القدس والستة ملايين مقاتل ذابوا كفصّ ملح في نهر دجلة.

(والزعيمُ الذي حشرنا حمورابي بتمثاله العظيم جبان) كما يقول شاعر العراق الراحل مصطفى جمال الدين.

فقد ضنّ الزعيم بنفسه وبولديه وعائلته والمقربين منه أن يستشهدوا في معركة (الحواسم).

أمّا الشعب العراقي ـ ضحية الديكتاتورية ـ فقد أغلق عليه بابه طلباً للأمن، فلم نرَ من يقاتل ولم نسمع طلقات تواجه طلائع القوات المستعمرة وهي تتمشّى الهوينى في شوارع بغداد.

سقط الصنم والعراقيون في أكثرهم غير مبالين. فقد نأى المؤيّدون والمستنفعون من النظام بأنفسهم عن المواجهة بعد أن منحوه نسبة (١٠٠٪) في الإنتخابات الأخيرة! وبدأوا يبحثون لهم عن دور في العراق الجديد، أو اختبؤوا خشية أن تطالهم يد العدالة أو الإنتقام. وخرج الضحايا من مخابئهم يشتمون النظام ويمزّقون صور رمزه الأعلى ويطيحون بتماثيله المالئة الدنيا.

لم يفق العراقيون على صورة الإستعمار القديم يتجدّد أمامهم بعد.. فهم حتى هذا اليوم (التاسع من أبريل) غير مصدقين أو مذهولين من سرعة تلاشي قوّة الصنم الديكتاتوري الذي أقسم أن يسلّم العراق حجارة بدون بشر!

هُزم الإستبداد على يد الإستعمار في المعركة التي شاهدنا فصولها وتفاصيلها على شاشات التلفزة الفضائية.

هُزم الإستبداد، لأنه قضى على مبررات المقاومة في نفوس الغالبية الساحقة من أبناء الشعب العراقي.

هُزم الإستبداد، ولم تبدِ عاصمة العباسيين مقاومة حتى بمستوى الناصرية والبصرة وأم قصر والزبير والنجف وكربلاء، فاحتلت بغداد فيما المتفائلون فاغري الأفواه، وكأنهم صدّقوا أن مقاومةً يمكن أن يبديها المسحوقون منذ ثلاثين عاماً.

يوم التاسع من أبريل.. دخل العالم وليس العراق وحده مرحلة جديدة، بل انعطافة تاريخية كبرى بما تحمله من متغيرات كونيّة.

بعض الحكومات العربية ستزعم لدى أسيادها ارتياحها من رحيل صدّام حسين. ولكنها تدرك بأن عصا الإستعمار الغليظة قد تلاحقها في النهاية.



سقط الصنم، فهل من معتبر؟!

وسيقول إعلام تلك الحكومات بأن صدام جنى ما زرعته يداه، وكأنهم لم يزرعوا شوكاً ولم يكونوا (صداديم) صغاراً! سنستمع الى لغة جديدة في الإعلام العربي الذي داهن الديكتاتورية قبل أن يُطاح بها.

سيزعم القادة العرب ـ وسيصدقون زعمهم ـ بأنهم قد برّوا بشعوبهم، وكانوا رحماء بمستضعفيهم، وأنهم ديمقراطيون، لم يجوّعوا النساء والأطفال أو يقتلوا المعارضين أو يكمموا أفواه المخالفين، ويطردوا خيرة أبناء الشعب خارج الحدود. وأنهم كانوا ـ بعبارة أخرى ـ ملائكة، وبالتالي لن يجري عليهم ما جرى لنظيرهم حاكم العراق.

سيقول زعماؤنا لأنفسهم، خاصة في المملكة، بأنهم (غيرا) ودائماً هم (غيرا). يختلفون عن صدام، ولا يمارسون ما يمارس، وبالتالي لن تمرّر السكين على نحورهم، وسيقف الشعب المسعود معهم قلباً وقالباً! كيف لا، وهم يعتقدون دائماً بأن الشعب خلق ليحترق من أجلهم ويدافع عن كراسيهم، كما كان صدام نفسه يعتقد.

هؤلاء لا يريدون أن يصدقوا بأن من لا يحميه شعبه، يطيح به أسياده بعد أن يستنفدوا غرضهم منه. هم برفضهم الإصلاح وتأسيس علاقة سليمة مع شعبهم تجعلهم في مصاف صاحبهم الذي انتخب بنسبة (١٠٠٪) في سابقة لم ولن يشهدها التاريخ، وقد يكتشفون كما اكتشف ذلك الصاحب، بأن هيلمان وجبروت وطغيان القوة يتلاشى أمام أيّ تحدٍ لا تمارس فيه الجماهير دورها.

نتمنى من حكومتنا (الرشيدة!) والنخبة المنتفعة من حولها أن تعتبر من الدرس العراقي!

نتمنى أن لا تنام على سرير الأوهام، أوهام الشعب الضعيف والقوة الأمنية الطاغية!

وأن لا تعتقد بأن الأميركيين حليف دائم لها.. فليس هناك من حليف حقيقي إلاّ الشعب الذي ينظر إليه الأمراء اليوم باستهانة، فإذا ما تورطوا فسعوا الى استنهاضه يكون قد فات الأوان.

نتمنى أن تدرك العائلة المالكة أن أسلوب حكمها، واستئثارها وبغيها وعدوانها لن يدوم، سواء قبل الأميركيون ذلك أم لم يقبلوا.. تلك سنّة الله في خلقه: دول تقوم وأخرى ترحل.

ليعتبر الأمراء، وإلاّ فإنّ ساعة الرحيل ليست بعيدة كثيراً كما يتخيّلون.

لحظة الحقيقة

رأفة بنا.. زعماءنا الورقيين

أسماء كبيرة، تماثيل منصوبة في الميادين العامة وفي مداخل البنايات، وأطنان من الأوراق المحشوة بعبارات التفخيم والتضخيم، وحاشية معلولة تتقن فن صناعة الصنم.

إن لحظة الحقيقة لابد أن تأتي، وأن السير بإتجاه مضاد لحركة التاريخ لا يؤول سوى الى السقوط المدوّي. تلك الاسماء الكبيرة المليئة بالرعب تحولت الى غبار يتناثر في الهواء يصعب رؤيته، فتلك الاسماء ليست منتجات شعبية، بل وجدت الشعوب نفسها أمام معلب كاريزمي يخترق الأسواق ويفرض نفسه على جمهور المستهلكين.

تلك الاسماء الورقية فرضت على الشعوب قائمة قضايا وهمية، وأوهمت ضحاياها بأن لها قضية وزعيماً ومجداً لابد أن يتباهوا به وأن يخلفوه لأبنائهم. إنها عملية عبث بالوعي يراد منا جميعاً الاستسلام لها وإطلاق أدوات العابثين كيما تفرض علينا قضيتنا وخصمنا وزعيمنا وصولاً الى هزيمتنا.

كل ما يتم ليس من صنعنا من الخصومة، الى الزعامة الى القضية والى المعركة التي يراد منا خوضها وصولاً الى الهزيمة التي نتكبدها، إنها منظومة تدابير لا تمت الينا بصلة.

النخبة الثقافية والسياسية العربية سقطت تحت دوي القصف الاعلامي المتواصل عبر الفضائيات وراحت توهم نفسها وجمهورها بأن المعركة التي خاضها الحلفاء ذوي النزوع الاستعماري ضد نظام صدام حسين هي معركة الأمة، وغاب عن النخبة بأن الهزيمة التي ستقع ستؤدي الى انفلاش روح الأمة، فالاحباط الناتج عن هزائم متكررة منذ حرب ١٩٦٧ ومروراً بحرب الولايات المتحدة مع تنظيم القاعدة وحكومة طالبان واخيراً مع النظام العراقي، لم يسفر سوى عن تذرر روحنا المكسورة منذ نكبة حزيران.

تلك الاسماء التي تطلب بناؤها وترسيخها عقوداً تبددت بطريقة مدهشة ومثيرة للسخرية، فأين تلك القصور، وتلك الجيوش، والأجهزة الأمنية وطوابير المتزلفين، والمخصصات المالية الضخمة لبناء الصنم. غابت جميعاً عن المشهد في أول لحظة مواجهة، وخرج الضحايا كيما يشهدوا حتف زعيم ورقي.

الزعماء الورقيون في بلادنا العربية من المحيط الى الخليج يكررون أنفسهم ويلعبون نفس الدور هذا بإسم الله وهذا باسم ماركس وذاك باسم الحرية والعدالة، ولكنهم جميعاً أوفياء ومخلصون لأنفسهم وأهوائهم..كلهم جميعاً ورقيون.

في بلادنا التي تحكم فيها سلطة بإسم الاسلام لا تختلف كثيراً عن نظام صدام حسين، فالحكومة في بلادنا لا تمثل سوى مصالح أقلية إن لم يكن مصالح عائلة تفرض سيطرتها على مقدرات وثروات السكان. يوازي ذلك أبواق، وصحف، وفرق المتزلفين ومحطات تلفزة كلها موقوفة من أجل بناء تمثال الزعيم، من عبد العزيز الى فهد بن عبد العزيز.

يدهشك حقاً أن تراثاً جبّاراً تراكم على طول تاريخ الجزيرة العربية قبل وبعد الاسلام يكاد الناهبون الجدد يختزلونه في حقبة تاريخية تبدأ منذ قيام دولتهم. فتاريخ الاسلام الذي بدأ منذ نزول الوحي على سيدنا المصطفى (ص) وبذل هو وأصحابه الأرواح من أجل تشييد أركانه، يشهد على ذلك آثار عظيمة لهم قد بنوها بدمائهم، وإن تعرض كثير من هذه الآثار الى الدمار والاندثار بفعل مشاريع أطلق عليها صفة التوسعة ولكن في جوهرها مشاريع محو لتراث الأسلام..هذا التاريخ جرى طمسه لكي يبدأ منذ سيطرة ابن سعود على الرياض والأحساء والحجاز وعسير وحائل، حتى لم يعد يعرف هذا البلد ذاكرة تاريخية الا ما شحنها الملوك السعوديون.

تلك الرمزية التاريخية الوهمية للعائلة المالكة التي لم تكن تغري سواء صانعيها أو الخاضعين تحت تأثير "شرهاتها" قد شهدت إمتحاناً أولياً في حرب الخليج الثانية حين تكشّفت مدى هشاشة هذا النظام الذي جاء رموزه الورقيون هروباً من المناطق القريبة من جبهات الحرب الى مدينة جدة ومعهم كثير من المتزلفين والمنتفعين. لقد أدارت قيادة القوات الأميركية في الرياض والمنطقة الشرقية السلطة في البلاد ولم يعد يدرك الناس بأن حكومتهم الرشيدة قد تنازلت مؤقتاً عن سلطانها للأجنبي كيما تدفع عن زعيمها التاريخي خطراً غير محتمل ضد عرشه الطاووسي.

تصوّروا لو أن هذه القوات الأميركية جاءت - كما حصل في بغداد في التاسع من أبريل - الى الرياض أو الدمام أو جدة، وبغرض ازالة العائلة المالكة، هل ستختلف مشاعر المواطنين عن تلك المشاعر التي سادت حين سلمت العائلة المالكة مفاتيح الحكم الى القيادة العسكرية الأميركية طيلة أيام حرب تحرير الكويت.

أي رمزية ورقية تلك التي رهنت شعباً كاملاً لوهم أسمه الزعيم التاريخي والقائد الملهم وأمير المؤمنين..إنها رمزية تنفلش غير مأسوف عليها. إن ما يحقن المشاعر بالغيض والغضب هو تلك الزعامة الورقية التي عبثت بوعي الأمة ولم تزرع فيه سوى الهزيمة، والانكسار، فهل يرأف من بقي من الورقيين بشعوبهم حتى لا يرون تماثيلهم ورمزيتهم تنهار على الهواء مباشرة.

مقالة

الرأي والشعور السلفي السعودي تجاه الحرب على العراق

هناك الكثير من الموضوعات الهامّة التي تطرح للنقاش في مواقع سعودية على شبكة الإنترنت، حيث يفصح المتحاورون عن بعض من مكنوناتهم الداخلية وضمن هامش معقول من الحرية، بحيث يمكن رصد هذه الحوارات واعتبارها بشكل عام مؤشراً على اتجاهات الرأي العام السعودي، بأكثر مما تعبر عنه الصحافة والإعلام المحليين.هناك على شبكة الإنترنت، يقوم أفراد ممن يمكن اعتبارهم منتمين الى الطبقة الوسطى العريضة في المملكة بالتعبير عن اتجاهاتهم وميولهم وآرائهم. هؤلاء في مجملهم وكما يبدو من الحوارات العديدة مسكونين بأنواع مختلفة من الهموم الجمعية، لم تجد لها متنفساً في الإعلام المحلي، ولا يمكن طرحها إلا بكثير من الحذر حتى لا يحظر الموقع محلياً، مع أن أكثر المواقع الحوارية السعودية أصبحت محظورة.

ما يهمنا هنا، هو استجلاء للآراء المختلفة بين السعوديين في قضايا وطنية مصيرية بالغة الحساسية. وسنقوم في كل عدد بعرض قضية من القضايا، وآراء المختلفين، الذين لم يجدوا إلاّ مواقع الإنترنت لطرحها على بساط النقاش. الموضوع التالي منقول عن منتدى السلفيين السعوديين (القلعة):

http://www.qal3ah.info:2244/vb/forumdisplay.php?s=&forumid=6

قد يحسم الخلاف قريباً حول مشروعية الجهاد في العراق أو غيره من الأقطار الإسلامية لا بظهور فتوى وإجماع من العلماء، لأن هذا الأمر لن يكون، ولكن لأن رقعة الحرب ستمتد ولن تبقى خاصة بالعراق. لو استبعدنا خيار توسع الحرب نكون أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن ينتصر العراق، وعندئذ سيتحول الجهاد إلى ثأر وتصفية حسابات وفتنة، وإما أن يهزم العراق ويأتي الدور على الضحية الثانية حيث نساق جميعنا كالنعاج إلى المسلخ. لقد مر علينا في الفترة القصيرة الماضية أحداث أثبتت أن أكثر العلماء لا يعول عليهم وليسوا كفوّاً ليقودوا الأمة في هذه المرحلة.

* * *

المؤسسة الدينية بات مناطاً بها تثبيت كرسي ولي الأمر وذلك من خلال تخدير العوام وتسفيه العلماء الذين يصدعون بالحق. علماء المؤسسة فتنوا أنفسهم إذ جعلوها مطية لهؤلاء المرتزقة، وقبلوا أن يخونوا الله ورسوله فكيف نأمنهم على أنفسنا ونعطيهم أيدينا في الظلمات ليقتادونا إلى بر الأمان وهم قد عموا وصمّوا في النور؟ كيف سيفتينا هؤلاء العلماء لو ماجت الفتنة.

أي مسلم في الجزيرة العربية يمنع من مغادرة بلده لكي لا يشارك في الجهاد خصوصا إذا ما توسعت رقعت الحرب و صار الخطر مباشر على إسرائيل. هل الأولى لهذا المسلم أن يحمل سلاحه لمقاتلة الطاغوت الذي يمنعه من الجهاد؟ أم الأولى به أن يجاهد الصليبين المقيمين في أرضه؟ وماذا يعمل لو جنّد الطاغوت ممن حوله وراح يدافع عن هذا الصليبي كما يفعل الآن؟

بالمختصر لو ذهبت اليوم لتؤدي واجبك كمسلم محاولا النيل من القواعد الصليبية الموجودة في أرض الحجاز من ستواجه بادئ الأمر؟ ولو اشتعلت فتنة بموت طاغوت (الملك) أو لأمر ما.. ما هو موقفك؟

* * *

أعتقد أن جميع أهل الجزيرة العربية على قناعة تامة بأن الدولة السعودية الثالثة والأخيرة تتخبّط وهي بحول الله وقوته في طريقها الى الزوال. في كل ليلة يأوي البعض الى فراشه ينتابه إسحاس هو بصيص أمل بأنهم سيستيقظون وقد حدث تغيير في هذه الدولة: إما انقلاب أو عمل إرهابي، كما يحلو للبعض تسميته. صدقوني، والذي رفع السماوات بلا عمد، إن هناك الكثير الكثير من شبابنا ينتظرون شرارة البدء ليثوروا على حكومة آل سلول. ثقوا بأن القليل فقط هو من ينتظر فتوى جديدة من علماء السلاطين.

* * *

هذا ما سيحصل لو سقط العراق لا سمح الله: سيصبح العراق أربع أو خمس دول، و تصبح السعودية أربع دول، وتمسي سوريا ١٠ دول، ومصر دولتين، ويصبح للبرابرة والأكراد والتركمان والأرمن دولاً قومية، وللآشوريين دولة قومية، وللشيعة والدروز والعلويين والإسماعيليين والأقباط والأرثوذكس والموارنة واليزيدية دولاً دينية. حينها تختفي اللغة العربية، وتصبح الصلاة تخلفا وتهمة، ويصبح الحج للعجزة والمترفين، وتقسم المواريث بالتساوي، ويعمم الزواج المدني - مسلمة من مسيحي -، ويتمرد الأولاد على الآباء، وسيرقص أولادكم على أنغام الأمريكان كما رأينا، وتغتصب حريمنا من قبل الجنود الأمريكان الموجودين في القواعد العسكرية كما يحصل في كوريا الجنوبية واليابان ولا يجروٴ أحد على محاكمتهم، وستتم محاكمة خالد بن الوليد، ويلعن سعد بن أبي وقاص لأنه دمر دولة المجوس، وعمرو بن العاص لأنه احتل دولة الأقباط.

* * *

صدرت عن سماحة المفتي والمشايخ فتوى بالقنوت في الصلاة، للنازلة العظيمة التي تنزل بالمسلمين في 'العراق' وما حولها وما يكتنفهم من البطش والموت والهلاك الجماعي. يعلم الجميع ان المفتي وهيئة كبار العملاء هم في اجتماع، صدر عنهم بيانهم الشهير ثم أخذوا بمناقشة موضوع القنوت.. وما بين أخذ ورد واجتهادات ومشاورات، صدرت الفتوى بالسماح في القنوت!

الحرب قايمة لها اسبوعين وأنت الآن تفتي بدعاء النوازل! ربما لم تعلم حتى الآن أن نصف شعب العراق راح، والكلاب الأميركان أكلوا ثروته وبدأوا يصدرون نفطه! أخونا المفتي تفرغ الآن وسمح لنا بالدعاء ليس على الأميركان ولكن للعراقيين!

* * *

اشتغلت غصب١ (قناة التلفزيون الأولى) هذه الايام بمنهج الإرجاف، فمن أفلام الحربين العالميتين الأولى والثانية الى لقطات تدريب وتحركات وأسلحة الجيش الامريكي وغوصاته النووية مروراً ببرامج وجوب الالتفاف حول ولاة الأمر، وتحريم الجهاد في العراق وغيره. كلها تحاول تضخيم القوة الأمريكية.

* * *

الواجب علينا ان ندرك حقيقة حجم هذا الصراع الدائر، وأنه لهزيمة امريكا يجب أن تتوسع ساحات المعارك لتلتهب الارض تحت كل وجود امريكي عسكري.. فدرس افغانستان

يعلمنا انه لولا خيانة باكستان لما تمكنت امريكا من جريمتها. ودرس العراق يرينا انه ما كان لامريكا ان تدخل أرض العراق لولا خيانة الدول المجاورة التي مكنت امريكا من اتخاذها منطلقا لعملياتها القائمة اليوم.

* * *

يقول الشيخ سلمان العودة ما لم أتوقعه: (لا تذهبوا الى الجهاد لأن بلدكم يحتاجكم. إذا كان عندك جامعة او دراسة او شغلة او مشروع فلا تذهب)! بالمفيد المختصر يقول الشيخ: البعث حزب كافر. أريد التبرع بـ ٥٠٠ شريط للشيخ العودة. ما رأيكم؟!

* * *

الشيخ البريك عندما سئل عن الجهاد فى افغانستان: قال الواجب على أهل باكستان نصرة الأفغان، لأن النصرة واجب على المسلمين الذين يلونهم، ثم اذا عجزوا عن صد العدوان فالذي يليهم وهكذا. ما هو رأيك يا بريك الآن؟ ها هم الأمريكان يغزون بلداً مسلماً مجاوراً، هل يجب علينا نصرة أهل العراق باعتبارنا جيرانهم المحاذين لهم؟

* * *

أقول ياسلمان العودة: اذا جاءت أمريكا لحرب السعودية، فإنها والله ستلقى دجاجها وقد تساقط ريشه من الخوف والرعب. طلعنا دجاج جبان مثلّج، اترك عنك الفتاوى، هذه هي الحقيقة. تريدون لنا فتاوى على مقاس الشعب السعودي، تبيح له القعود. نحن لا نملك ربع شجاعة العراقيين. ياسلمان العودة... عندنا مائتين مليون عربي، دع خمسة ملايين يدخلون الجنّة شهداء وأنا أضمن نصراً مبيناً على أميركا وأذنابها. يا سلمان العودة: ربما تعرف فيتنام، لقد طردت أميركا بثلاثة ملايين، ونحن أهل التوحيد والمسلمين تقول لنا اقعدوا حتى يأتونكم الأميركان محاربين. أمريكا لن تغزوك أبداً، فهي ستحرك أذنابها وهذا يكفيها عناء القتال. قل لي إذن متى تريد أن تجاهدهم؟ تريد أن يحاربك الأميركان، لماذا؟ أخشى أن تعتقد بأن بلدك مثل العراق، أو عندك حاكم مثل صدام؟ ما يريده الأميركان يأخذونه من آل سعود بكل بساطة.

* * *

رغم قناعتي بنزوع الشيخ العودة الجدّي للاصلاح، ورغم كرهي الحقيقي لما يفعله من ممالأة لعناصر الشيطنة الجديدة لصغار حكومة آل سعود كما هو شائع عنه منذ فترة ولم ينفه، ولولا قناعتي التامة أنه يفعل كل ذلك مجتهدا متأولا لتبرأت منه كله وليس من فعله هذا فحسب، خاصة وقد لحق أذاه بعض الصالحين النزاعين للمقاتلة الفعلية ومقارعة جنود ورجال الطاغوت، ولاسيما في مثل هذه الأوقات.. والحمد لله أن طلائع المجاهدين قد بدأوا رغما عن قعوده (الخاص) وتخذيلاته (العامة). الآن بدأت تعمل به الحكومة الدجلية السعودية تستغل عناصر حركية علمية ودعوية كانت محبوبة كثيرا كالأخ العودة مثلا، وتستخدمهم لمآربها، باستصدار فتاوى متلبّسة بالحذر والعقلانية وهي في حقيقتها الشرعية ومردودها العملي تعتبر مخذلة للنفوس الأبية ومعطلة للطاقات.

* * *

انكشف الأمر، وانجلت أكثر التمثيليات المخادعة من قبل ولاة أمور الكفر والكذب والكبر والغدر. الحمد لله هناك فجوة عقدية ونفسية كبيرة جداً بين المواطنين وهذه الطبقة الحاكمة المتسامية المتميزة عنهم حتى في مسمياتها (صاحب السمو وصاحباته). الغزاة الأمريكيون موجودون سابقاً في جزيرة الاسلام العربية، أي أنها محتلة مستخربة لا مستعمرة كما يقولون، وهم الآن مجددا في عرعر وتبوك والخفجي وفي قاعدة وزير الحرب الرعديد في الخرج.. فهلاً حاربناهم الآن؟ ولاة الكفر في حكومة آل سلول طلبوا ووافقوا على تواجد جيوش الشيطانة الأمريكية في جزيرة الاسلام العربية رغم أنهم يعرفون أن آخر ما تلفظ به خاتم الأنبياء عليه السلام هو اخراج ما تبقى من المشركين منها، وخالفوه متعمدين متقصدين وأعادوا من خرج وأحضروا كل أنواع الشرك في الأرض اليها كما ترون.. وطواغيت حكومة آل سهود هؤلاء هم وبقية الجنس ذاته في أمريكيا وبريطانيا وغيرها أصحاب وأولياء بعضهم بعضا. ان كانت حالة الناس في العراق والجزيرة واحدة، فإنه يلزم مناقشة مسألة دفع الصائل الغازي في العراق وعلى الفور وتأجيل النظر فيما عدا ذالك.

* * *

صدام كافر، أو ليس بكافر.. هذا ليس شغل أحد، ولا حتى شغل إبن باز الذي كلنا يعرف أنه كان يفصل الفتاوى لتناسب آل سعود!: تحريم استخدام الروس كمستشارين في عهد عبدالناصر وتحليل قتال جيش الامريكان للمسلمين في كويت العراق! المجرم صدام لا يستحق موضوعاً يخصص له. المهم الشعب العراقي بأكمله.

* * *

صدام شخص حقير جداً أن يطلب من الشعب العراقي أن يضحي من أجل أن يبقى هو على سدة الحكم.. تلك خسة منقطعة النظير إلا في أمثاله من الدكتاتوريين الأغبياء عندما يتم حشرهم في زاوية، حيث يقوم بالعزف على أوتار استقلال الوطن والدين، فيما كان هو أول من استعمر الوطن وأهان الدين! وما الذي كان قد حققه لشعبه في السراء حتى يطلب منه (رد الجميل) في الضراء؟ انظروا لحال المدن العراقية، ولا تخطيط مدني ولا اهتمام بالانسان.. الفقر والعوز وأشكال الحياة البدائية لا تزال طاغية ومسيطرة بقوة على الحياة في العراق.. لا أثر لنعمة النفط.

* * *

أنا أرى أن ما أصاب العراق من ويلات يعود الى الأذى الذي يحيق برسول الله من طوائف الضلال التي تتخذ من أجزاء من العراق مراكز رئيسية لها. كل تلك الويلات التي ألمت بالعراق أكاد أجزم أن من ضمن أسباب صبها عليه وعلى شعبه.. ذلك التشيع المقرف المقزز الغبي في أوساط الكثيرين من أبناء شعبه!

* * *

يخرج علينا من الأمراء من يقول: أكره المجاهدين ولا أثق بهم! نحن نعيش قرناً مشؤوماً ضاع فيه الأقصى بوجود هذا (بندر بن سلطان) وأمثاله. وها هم الأمراء يجددون العهد مع الشيطان في قرن جديد لعل وعسى أن تضيع مكة والمدينة المنورة. لا بأس هم رجال على شعبهم! وعند اللقاء والإمتحان يكونوا خلف أبواب موصدة!

* * *

نحن نبارك ونقدر وقوفكم (شعب العراق) وصمودكم في هذه الحرب، ونبحث معكم عن المزيد من الوقوف في وجه العدوان الصليبي، ودفعه بكل قوة ممكنة، ووسيلة مقدورة من عمليات فدائية، وضربات بطولية، فأهل الإسلام حيثما كانوا يبغضون الظالمين ويرفضون التواجد الأمريكي والغربي في أرض المسلمين، فإلى المزيد من نسف جماجم أعدائكم، بل وأعداء الإنسانية أجمع، وامضوا قدماً في التنكيل بهم، وتسخير قوتكم في حربهم فمفارقة الحياة أحب من الذل المهين (سليمان بن ناصر العلوان).

* * *

يا اخوتي في الجزيرة العربية والله انكم تساقون الى المسالخ غير عالمين بما يدبر لكم في الخفاء ويعلم الخونة من الحكام، وعن سبق اصرار، وما يزيدني كمدا ان هؤلاء الخونة حكموا أرض الحرمين بالوكالة قرناً من الزمان، وولغوا في الخيانة منذ أول يوم تسلموا فيه رقاب اهلها وأخذوا صكوكنا بأيديهم وسمّونا بإسمهم (سعوديين) وكل منا يحمل صكه في محفظته. سرقوا خيراتنا وأعطونا الفتات واغتصبوا الارض بمئات الكيلومترات. إنهم أهل الشعر الخليع وهم من دعموا الخنا والغناء والميوعة بما أقاموا من مهرجانات فاسدة مفسدة صادّة عن ذكر الله. اني اخاطب فيكم الان من بقي في قلبه من الود شيئاً تجاههم: افيقوا واعلموا انهم سلموا رقابكم الى الجزار الصليبي يفعل بها ما يشاء، وسيكونون في اصقاع سويسرا واوروبا يستمتعون بما نهبوا وسلبوا.

* * *

على الكويتيون مساءلة الحكومة عن موعد خروج الأمريكان من الكويت. هل يعي

الكويتيون أنهم يعيشون تحت إحتلال فعلي بغيض ليس أفضل حالاً من الإحتلال العراقي؟ ومتى يتوقفون عن التطبيل لعدو الله وعدونا الأول وعن إستفزازنا المستمر؟

أحييك يا شعب العراق الذي توحدت حوله الأمة بجميع فئاتها وطوائفها ومذاهبها لأول مرة في تاريخها. فوالله لأن يحكمني رجل من عربي مسلم مثل صدام حسين (وإن يكن ظالماً) لهو خير لي ألف مرة من أن يحكمني علج من علوج الصهاينة.

* * *

نستغرب التحول الذي طرأ مؤخرا على سياسة المملكه ومنها تغيير اللهجه الاعلامية السعودية 'المفاجيء!' تجاه الحرب الصليبية على العراق، بعد أن كانت اللهجة مهادنة لامريكا في أول أسبوع من حربها. في نفس الوقت يجب أن نتذكر ان نايف هو رئيس المجلس الأعلى للاعلام، فهو الذي يرسم التوجهات العامة للصحف و يلون المواقف التي يتخذها الكتاب تجاه قضايا الساعه! فمالذي طرأ؟ هل تأكد لدى نايف وهو الأكثر توجسا من الامريكان نيّة أمريكا المبيتة لتوسيع نطاق حربها لتشمل السعودية، فقرر أن يعبيء الرأي العام لتلك المواجهة المحتملة؟ أعلم ان دافع نايف ليس من زاوية وطنية، وأعلم أن أمريكا لن تفرط في النظام.. لأنها لن تجد و لن تخلق أفضل منه لرعاية مصالحها.

* * *

لو افترضنا أن أمريكا أعلنت الحرب على المملكة بعد العراق لسبب أو لآخر، وأبسطه (غزوة مانهاتن ـ نيويورك) وعلى أساس التمويلات المالية من المملكة، حينها ماذا سيفعل الحكام العرب والمسلمون ودولهم؟ ماذا سيفعل آل سلول وآل صباح، وماذا سيقول حسني الخفيف، وماذا باستطاعة آل سلول أن يفعلوا؟

* * *

أطلّ علينا العبيكان ـ أحد مفتي النظام ـ عبر القناة الأولى وأفتى بعدم جواز القتال مع العراق، كونه نظاما بعثيا خارجا عن الاسلام! وقال بأنه نظام ظالم سلط عليه من أهو أظلم منه. سبحان الله! رغم أن المساجد تملأ مدنه وشعبه عربي مسلم. أهل قم المقدسة ـ أقصد بريدة ـ لهم تفسير مختلف جداً للإسلام، طوّعوه لخدمة أهداف آل سلول، أهل النفاق والردّة والتقيّة. عند هذا الشيخ لا مانع من ذبح أهل العراق ليرضي أسياده وأولياء نعمته ويجد لهم تبريراً عن تقاعسهم وعونهم للنصارى واليهود. والله ما أخزينا إلا عندما تولى الفتيا أهل نجد.

* * *

لأول مرة أسمع هذا العبيكان يصدق. نعم الجهاد مع نظام كافر لا يجوز، رضيتم أم غضبتم. إتقوا الله ولا يعميكم الهوى وما تحبون عن حقيقة الشرع. لأول مرة أؤيد هذا الشيخ.

* * *

أليس من الواجب انكار المنكر؟ نشاهد يومياً إخواننا العراقيين الأبرياء يقتلون وتكشف عوراتهم وتداس كرامتهم، ثم يأتي علماء السلاطين ـ الله حسيبهم ـ ليصدروا أنواعاً وأشكالاً من الفتاوى تحرم الجهاد والخروج على ولي الأمر.

* * *

النهج الغالب على التوجه الفقهي في نجد هو التشدّد في أسهل الأمور وأبسطها، والتساهل في أعقد الأمور والتي تحتاج الى شجاعة فكرية ودينية. هم ـ وخصوصاً القضاة ـ يتشددون تجاه البسطاء من الناس ولا يستطيعون قول الحق عندما يتعلق الامر بالأمراء وعلية القوم. العلاقة المريبة بين نظامنا السياسي وامريكا بالذات لا يطرحونها على النقاش مطلقاً لأنها تمس مصالحهم والنظام! بينما حين يتعلق الأمر بدولة عربية تجدهم من أنشط الناس في التنظير والتبرير والتحوير خدمة لتوجهات آل سعود. هذا ما عنيته بقولي عن أهل نجد، وتجربتنا معهم مريرة وطويلة نتناقلها عبر أجيال متعاقبة.

* * *

هنا يبرز سؤال مهم: لماذا هيئة كبار العلماء من نجد فقط؟ ألا يوجد علماء في أي من المناطق الأخرى؟ حتى الأئمة في الحرمين والقضاة يعينون من نجد لماذا؟ ألا يوجد أهل الشرعي إلا من هؤلاء. حتى إمامة المسجد الحرام بمكة جعلت حكراً على أهل القصيم وتحولت الى وراثة دون الأخذ في الإعتبار الكفاءة لشغل المنصب الديني.

* * *

يوجد في نجد من هم أهل حق وفضل، ولكنهم أقلية كالشيخ العقلا رحمه الله والحميد حفظه الله. لكن الغالبية تقدّس النظام وتراه فوق النقد الديني، وكما قال إخواني: لماذا كل العلماء من نجد، في حين أن الحجاز مُهمَّش تماماً رغم دوره الديني والحضاري الكبير؟

* * *

اوفقك الرأي فيما ذهبت اليه عن الضال المضل العبيكان. لكن ليس لك حق أبدا التهجم والتهكم على أهل نجد إن كان فيهم ضالين، ففيهم أيضا علماء صحوة يكفيهم فخراً الشيوخ العقلا والخضير والفهد والعلوان كلهم من نجد، بالاضافة الى محمد بن عبدالوهاب وابن عثيمين وابن باز وغيرهم.

* * *

الجميع في هذه الايام لا يستغرب الموقف السعودي المتحالف مع الصليبيين ضد العراق. ولكن الذي يستغربه العموم هو قيام السعودية بتخفيض اسعار النفط في الوقت الذي تسعى فيه أمريكا لاحتلال منابع النفط العراقية تمهيداً لمشروعها الانتقامي من الحكومه السعوديه التي لم تجد منها الا كل شر. الجميع يتساءل لماذا؟ السعوديون فقط هم من جلب الكوارث لأمريكا. إن موقف الحكومة السعودية يثير الشفقة، فهي في جميع الأحوال خاسرة.

* * *

الصواريخ (الضالة) سقطت وهي في طريقها عبر الأجواء السعودية لتنقل الموت والنار والدمار إلى العراق، وقبل إطلاق الصاروخ الأميركي الأول على العراق، لم يكن أحد في السعودية من الذين يؤيدون الحرب سراً ويعارضونها جهراً يتوقع أن يسقط صاروخ أميركي بالخطأ على أراضي المملكة، غير أن صواريخ توماهوك ليست وحدها التي سقطت على أراضي المملكة، إذ سقطت معها بعض الأقنعة التي عودتنا الدبلوماسية السعودية على ارتدائها، فهناك قناع لكل مناسبة ولكل موسم، فما بالك في موسم الحروب حيث تكثر الأقنعة ويكثر ارتداؤها وخلعها؟ السعودية تتحدث بلغتين مختلفتين إحداهما للداخل والأخرى للخارج، ونراها تتعامل بوجهين، وجه مع العرب والوجه الآخر مع الغرب! ومن محاسن سقوط الصواريخ الأربعة أنها أسقطت معها دفعة واحدة كل الوجوه والأقنعة التي ترتديها الدبلوماسية السعودية. إذا كانت صواريخ توماهوك الأميركية تتخبط في ضرب أهدافها في العراق، فإن السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية تعاني هي الأخرى من تخبط أدهى وأمر.

* * *

جاء في كتاب مجموع ومقالات وفتاوى متنوعة للشيخ عبدالعزيز ان حاكم العراق كافر وإن قال لا اله الا الله حتى لو صلى وصام ما دام لم يتبرأ من مبادئ البعث الالحادية. وردا على سؤال: هل يجوز لعن حاكم العراق؟ لان بعض الناس يقولون انه مادام ينطق بالشهادتين نتوقف عن لعنه، وهل يجزم بأنه كافر؟ وما رأي سماحتكم في رأي من يقول بأنه كافر؟ وأجاب سماحة الشيخ بن باز بما سبق وختم فتواه: (هذه حال صدام وأشباهه ممن يعلن الاسلام نفاقا وخداعا وهو يذيق المسلمين انواع الاذى والظلم). وأكد الشيخ إبن باز ان (دولة البعث أخطر على المسلمين من دولة النصارى لأن الملحد أكفر من الكتابي كما لا يخفى).

* * *

يقول محمد بن وضاح رحمه الله تعالى: (إنما هلكت بنو إسرائيل على أيدي قرائهم وفقهائهم، وستهلك هذه الأمة على أيدي قرائها وفقهائها). يكفي بأن إبن باز لم يستفد من فتاويه أكثر من أمريكا واسرائيل وأذكر بعض الفتاوى وطبعا لو كان أحد غيره لكنتم لعنتموه.

أصدر إبن باز فتوى باستباحة دماء أهل العراق ولو كانوا في الصلاة لأنهم روافض، وأصدر فتوى في تحريم الإستعانة بالخبراء الألمان ضد اليهود الصهاينة في عهد جمال عبدالناصر، وأصدر فتوى بإباحة الإستعانة بالكفار ضد المسلمين ضاربا بعرض الحائط إجماع الأمة على تحريم ذلك، وأباح دخول الكفار والمشركين إلى جزيرة العرب ضارباً بأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام عرض الحائط. هذا لا يهمه شيئاً، المهم أن يرضي الطواغيت آل سلول. وأفتي ابن باز بجواز لبس الصليب لولي الأمر، وكفر من يؤمن بدوران الأرض حول الشمس وأفتى ببغي الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله لأنه يطالب بإخراج الكفار من جزيرة العرب، ومدح وزكى الحكام المرتدين وأثنى عليهم وهاجم من هاجمهم كالشيخ أسامة والمسعري والفقيه. وأصدر فتوى بسجن الدعاة الكبار الذين جاهروا بالحق وأبوا السكوت على المنكرات وأصدر فتوى باستباحة دماء المجاهدين الأربعة (مع أنه لا يُقتل كافر بمؤمن) لا لشيء إلا لأنهم أدوا واجبهم في قتال الكفار وإخراجهم من جزيرة العرب، وأصدر فتوى تستبيح الصلح مطلقاً مع اليهود، وأخرى تدعو المسلمين في فلسطين المحتلة لترك أرضهم لليهود، وحرم العمليات الاستشهادية لان اليهود اشتكوا من ذلك، وغيرها من الفتاوى التي تقشعر منها جلود الذين آمنوا ولم يستفد منها أكثر من الامريكان المحتلين واليهود وآل سعود لعنة الله عليهم وعلى أتباعهم.

ولكن ماذا عسانا ان نقول في قوم يعبدون العلماء، فالطعن في أي عالم مباح وايضا في المجاهدين حلال، ولكن إن أتيت لابن باز أو هيئة كبار العملاء، تصايحوا عليك وقالوا: انتبه لحوم العلماء مسمومة. انتبه: سوف تلعنك الالهة وتغضب عليك الالهة!

* * *

يا إخوان انا اتعجب لماذا لم نر من علمائنا في السعودية أحد يذهب للجهاد؟ اليس الجهاد ماض الى ان تقوم الساعة؟ اين هم من الجهاد؟ أنا لم أرَ أو أسمع بأي عالم سعودي ذهب يجاهد في أي مكان.

* * *

عايض القرني راح للجهاد في باكستان أيام الأتحاد السوفيتي. طال عمرك دق له مفطح هناك ودعا لهم بكلمتين وهو لابس بشته ثم رجع. والصراحة إن عيبنا حين نسمع من يدعو للنفرة فيما الداعون قاعدين هنا، ومثال ذلك هؤلاء الذين يقولون بوجوب الجهاد مع نظام بغداد البعثي. لم أرَ من هؤلاء المولولين ذهب للجهاد، الجميع متربّع هنا، وهات يا حكي.

* * *

ألقى عائض القرني قصيدة يمدح فيها الفلاح العراقي الذي أسقط الطائرة الأمريكية من نوع أباتشي هذا نصها:

يا أبا منقاش أحسنت فزد
فعلكم يا ابن العلا فعل الأسد
الأباتشي أنت من أسقطتها
برصاص مثل حبات البرد
يا فتى دجلة زدهم لهباً
أمطر الجو ببرقٍ ورعد
دكدك الظالم ومزّق جيشه
ادفن الباغي وقطّع من جحد
كن كميناً كن جحيماً كن لظى
كن عذاباً من زؤام ورصد
اشحن البندق بالنار ولا
تتقي الموت فإن الأمر جد
اذبح العلج على خيبته
ثم ردد قل هو الله أحد
اهجر الدنيا ولا تحفل بها
لغبيٍ أو جباناً يرتعد
الذي لا همّه إلا الهوى
يوم خان الله ذو العرش الصمد
نحن بالإيمان أقوى منهمُ
إن صدقنا في جهادٍ وجلد
حسبنا الله على طغيانهم
فهي أقوى من عتادٍ وعدد
قل لميسون كتبتي قصة
كبر المجد عليها وحشد
كل حسناء بكم تاهت على
صهوة الجوزاء عن أبرٍ وجد
والغواني شرُفت لما رأت
عزم ميسون حمى أهل البلد
عقدها في جيدها شرفها
وبجيد النذل حبل من مسد

* * *

لا يزال تخبط الشيوخ والعلماء في نظرتهم للأحداث مثار عجب لدى المتابعين من طلبة العلم بل حتى من بعض عوام الناس، خاصة أولئك الشيوخ الذين كانت لهم مواقف مشرفة قبل سنوات تجاه أعداء الإسلام وأذنابهم من المنافقين. ومن صور التخبط، بل قل الانتكاس، في الفهم والرأي والمواقف، ما قرأناه منذ بدء أحداث سبتمبر من تصريحات وفتاوى وبيانات لبعض المنتسبين للعلم الشرعي، فيها تمييع صريح لقضايا كانت من المسلمات عند هؤلاء الشيوخ أنفسهم وعند عامة طلاب العلم.

* * *

ما اشبه اليوم بالبارحة.. كان (ملوك الطوائف) في الأندلس لاهين ساهين معربدين، أهل غناء وخنا، وأهل دسائس لبعضهم البعض، وكأنك ترى حكام الدول العربية الحاليين ماثلين أمامك. كان عدوهم من الصليبيين يتربصون بهم منذ زمن، ليأخذوا بثأرهم من المسلمين، وحصلت الكارثة وتغلب الصليبيون على ملوك الطوائف وابادوا المسلمين في الاندلس بأبشع أنواع القتل والابادة، فأقاموا محاكم التفتيش في كافة أرجاء الاندلس وامتحن المسلمون أيما امتحان، حتى أنه ارتد عن الاسلام الكثير ظاهريا ولكنهم مؤمنين في أعماقهم، ولكنه العذاب الشديد.

أخوتي: وعدنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الا يسيطر علينا العدو ويستبيحنا مرة واحدة كأمة، ولكن جعل بأسنا بيننا، وها أنتم ترون بأس حكامنا فيما بينهم ونحن بين رحى طواحينهم يتقاذفوننا فيما بينهم تقاذف الصبيان للكرة، وآخر همهم نحن، إنهم يخافون صنمهم وفرعونهم الاكبر (بوش) أكثر من خوفهم من الله، هذا اذا كان فيهم مؤمن بالله.

ماذا نفعل؟ الحرية لا تعطى بل تنتزع انتزاعاً وأقل ما نغلب عليه ان يكون انتزاعها سلميا ويصمت ان كنت ممن يخافون الاعتقال او السجن. اقوى سلاح يمكن ان يواجه به نظام تسلطي هو عدم المشاركة في المناسبات التي يقيمها النظام وستكون مخيفة له اذا شاهد هذا ماثلا امام عينيه واقعاً، لان اجهزة الحكم الامنية دائما وخاصة في الانظمة القمعية لا ترفع لاسيادها الا ما يرضيهم (وكله تمام).

في حالة الحضور للمناسبات وخاصة الرياضية منها تكون الفرصة سانحة للتعبير عن الرأي وبقوة وذلك من خلال الصفير ورفع الصوت وعدم المشاركة في ترديد النشيد الوطني ويا حبذا لو رفع الصوت صوت الاحتجاج بعده مباشرة فهذا انكى واشد او مقاطعته والصفير اثناء الانشاد. وعند وصول المسؤول يجب أن يقابل بصيحات الاستهجان ورفع صوت الاحتجاج وان يبدي الجمهور عدم الرضى، واذا كانت مناسبة افتتاح لدورة او ما شابه فالمقاطعة هنا تكون بالصوت العالي وهذا سيكون شديدا على المسؤول ومخيفا له.

يجب مراعاة عدم المساس بالممتلكات الخاصة أو الاحتكاك بالقوى الامنية في المناسبات، حتى لا يستغل الوضع ويقمع هذا الاحتجاج بذريعة الحفاظ على الامن. عدم اتلافك للممتلكات يكون دليلا مطمئناً لغيرك بحيث انه سيشارك معك في المرات القادمة ما دام ليس هناك عنف او اتلاف للممتلكات العامة. المواطن العادي يكره الفوضى او الاعتداء على ممتلكاته وقد يقف في جانب النظام ضدك وسيفرض على من يعوله عدم المشاركة مستقبلاً. من جهة أخرى فإن الاعلام الخارجي دائما ما يغطي مثل هذه الاحداث والان الفضائيات اصبحت مفتوحة والكل يشاهدها وسيكون شاهدا صادقا على الاحداث ونقلها مباشرة الى ارجاء المعمورة وحتى اشد المطبلين للنظام لا يستطيع ان يقف مع النظام في حالة كهذه ابدا لان الاحتجاج سيكون سلميا لا فوضى فيه.

عندما لا يصبح السر ضرورة

ليس من قبيل المراوغة عندما ملت على أحد المسؤولين وقلت له:)لا توجد أسرار، اما ان تسر بها لي، او سيفشيها آخر لي أو لغيري). الصحيح ان اعظم منحة تقدمها هي ابلاغ الحقيقة بدلا من ترك الناس، وانا واحد منهم، يدورون في فلك الاكاذيب التي تشهدها منطقتنا اليوم، وفي كل ازمة. الخبر اليوم له ثمن، وغدا ببلاش، ومشكلتنا ان كثيرين يريدون المحافظة على اسرارهم الى الأبد. هي في الواقع ليست اسرارهم كما انها لن تبقى محفوظة في الصدور حتى القبور. واحيانا، بل غالبا ما يكون من صالح الجميع نشر هذه المعلومات بدل وضع اقفال غليظة عليها.

عبد الرحمن الراشد
الشرق الأسط، ٢٠٠٣/٣/١٦

* * *

وسائل الإعلام.. إنتاج الأوهام

أصبح المواطن البسيط في حي شعبي في قرية نائية يستطيع المشاركة برأيه على الهواء. وهذا خلق حاجة لتغيير نمط الخطاب الإعلامي الرسمي الجامد الذي ما زال يمارس وصايته القديمة، وكأن الناس لا ترى إلا بعينه ولا تسمع إلا صوته. كل شيء تغير في هذا العالم، إلا وسائل الإعلام البائسة، التي تماري الحقيقة مواراة. وتحوم حول الحدث بخيفة وتوجس، ولا تريد أن تكون مرآة للواقع، ولكن منتجة للأوهام.

سليمان العقيلي
الوطن ٢٠٠٣/٣/١١

* * *

لأنه وطن يستحق الأفضل دائماً!

لا يمكن للامبالاة ان تخلق مواجهة حقيقية مع المرحلة، أن تقود الى رعاية مصالح الامة، أمة تواجه كل يوم تحدياً خطيراً ينذر بعواقب لا أحد يدرك مداها. لا مبالاة قاتلة في العمل الاداري والتعليم والاعلام والاقتصاد، ثبات وسط خطوات متثاقلة ومترددة لفتح آفاق اوسع للابداع والحركة وحرية التعبير، وتكريس الحريات العامة والاصلاح وخلق روح القانون، ومحاربة الفساد والغش والكذب والتزوير بكل ابعاده ومبرراته، لأن التبرير حين يبدأ لا يتوقف.. لا يتوقف ابداً.

اللامبالاة هي تخدير خطير باسم الوقت في سباق عالمي محموم، تخدير يمارس في انتظار مميت ومراهنة على الوقت، حيث الوقت وحده هو القادر على الاصلاح والمواجهة ومحاربة الجهل والتخلف والفقر والتطرف؟ الوقت كفيل بحل كل المشاكل الاقتصادية والادارية وحتى الفنية؟ الوقت هو وحده الحل السحري لكل تعرجاتنا وتشوهاتنا وبعض جروحنا المتعفنة؟ الوقت وحده كفيل بالتغيير؟ هذا ما نردده بحسن نية او بغيرها. وفيما الوقت يمضي تبقى السلبية عالقة في كل خطواتنا المترددة والمتأخرة في العمق وبما يفرزه على السطح.

ناصر صالح الصرامي
الرياض ٢٠٠٣/٣/١٥

* * *

الوطن.. الذي نريد

مع ما تشهده المنطقة من أزمة وحملات وتوتر كل ذلك يدعونا للتكاتف والتواصل الجاد للدفاع عن بلادنا وهذا يكون بمواجهة العيوب وقبول النقد والاستعداد للإصلاح المستمر. وهنا من المهم تثبيت مبدأ إحسان الظن بمن لديه شكوى أو عنده نقد أو اقتراح. لابد أن تكون لدينا الجرأة للمواجهة والقدرة على المتابعة وحسن النوايا للمعاملة. الحديث عن الرغبة في إحداث نقلات نوعية في القضاء والتعليم أمر مطلوب منذ سنوات، الأمل أن تتم هذه النقلة في أقرب فرصة. وطننا الذي نريد هو وطن الإعلام الصادق والحر والنزيه، وطننا هو وطن فيه التعليم الذي يمنح أبناء وبنات هذا الوطن الفرص المتساوية الصادقة التي تسمح لهم بالعمل والعيش الكريم دون مصاعب. وطننا هو الوطن الذي نتفاعل مع مشاكله ونساهم في حلولها على أساس قواعد قانونية ونظامية تعم الجميع دون استثناء وليس على قيم فقط دون أنظمة تطبيقية تساند ذلك.. فإنه من العبث الاعتقاد بإمكان حماية المجتمع والأفراد تحت وهم القيم الأخلاقية وحدها.

حسين شبكشي
عكاظ ٢٠٠٣/٣/٢٢

* * *

المعتدلون والتكفير: موقف اللاموقف

(التكفير) ظاهرة شاذة لا يمكن لها التسلل إلا في ظل أوضاع غير سوية سواءً أكانت ظروفاً استثنائية عابرة أم كانت أوضاعاً سياسية غير مستقرة. نشط بشكل ملحوظ إصدار صكوك التكفير العيني حتى غدت هواية من لا هواية له وأصبحت بيانات التكفير الجماعية (صرعة) جديدة وإشارة لا يخطئها عاقل على وجود أزمة فكرية متجذرة تستوجب تدخلاً شجاعاً من القيادات الفكرية كافة.

الرموز الدينية المعتدلة لم تكن لها أية مساهمة في مواجهة بيانات التكفير التي وجهت لكتاب ومفكرين وطنيين بل لزمت الصمت وآثرت أن تتفرج على المعركة من الأعلى لترى إلى أين تتجه الرياح حتى تحدد موقفها، بحسبة سياسية. المشايخ المعتدلون يسارعون في التنديد لمجرد إشاعة أن هناك منكراً مع أن كثيراً من تلك المنكرات المزعومة لا تعدو أن تكون مسائل خلافية.. في المقابل هم يعتقدون أن أولئك التكفيريين مجتهدون يلتمسون الحق ويبذلون الوسع وبالتالي فهم مأجورون فإن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر. هم يرون أن عملية نقل مسلم من الإيمان إلى الكفر اجتهاد مقبول بينما الحديث جهراً عن مسألة جواز أخذ ما زاد على القبضة من اللحية أمر منكر يؤدي إلى البلبلة.

نسمع شرحاً مسهباً لشروط التكفير وموانعه في سياق تنظيري فكري مليء بالعموميات.. لكن عندما يقوم غلاة التكفير بتجاوز التنظير إلى التطبيق معتمدين تلك القواعد المتفق عليها فإننا لا نجد (لمعتدلينا) أي صوت ينكر تلك الفتوى أو يدينها.. لكنهم يحاولون التنصل من تلك الممارسات المحرجة لهم بطريقة مخاتلة. على صعيد المؤسسات الدينية نجد أن الهجمة على التكفيريين تكون شرسة في حالات (فتاوى التكفير السياسية) لكنهم يتلكأون في التنديد في حالات الفتاوى الفكرية التي تطال مفكرين وكتاباً ورموزاً وطنية مع أن الجرثومة السرطانية واحدة لا تفرق بين السياسي ولا غيره.

عبد الرحمن اللاحم
الوطن ٢٠٠٣/٣/١١

* * *

خطابنا الإعلامي متخلف

ظل الخطاب الإعلامي السعودي على مدى عقود من الزمن متناغماً دائماً ومتوافقاً مع التوجه السياسي السعودي المحافظ المتحفظ. نواجه اليوم إعلاماً عربياً وإسلامياً مناوئاً في أغلبه.. علاوة على أننا نواجه منذ كارثة ١١ سبتمبر حملة إعلامية عالمية مركزة.. تهدف إلى استعداء الشعوب علينا وتنفيرهم منا. وفي هذه الأيام نحن أمام ساعة الانفجار.. ومع هذا خطابنا الإعلامي متضارب الاتجاهات يقاد ولا يقود.. حيث ظهر إعلامنا أمام العرب والمسلمين في موقع المدافع.. وصارت صورة المملكة في ذهن نصف شعوب المنطقة وكأنها مغلوبة على أمرها.

هذه الأيام نواجه أقسى الأزمات التي تمر بها بلادنا في تاريخها.. والتي تنبئ بأن هذه المرحلة ستكون مفصلاً تاريخياً سيشكل مستقبل وطننا ومواطنينا.. وفي رأيي أنه حل وقت العمل على توجيه الصورة السعودية بخطاب اعلامي واع وعلى قدر كبير من الذكاء والمهنية. ما نسمعه ونراه هو ترديد لما يقال ويذاع ويكتب.. والأدهى والأمر أنه لم يتم التوجه للداخل.. للمواطن السعودي نفسه وكأنه غير موجود أو أنه محصن غير قابل للاختراق.

عبدالمحسن الماضي
الجزيرة ٢٠٠٣/٣/١٨

* * *

المباحث في زيارتك!

صار المواطن السعودي في أمريكا 'ملطشة' بعد حادثة الحادي عشر من سبتمبر.. وآخر ما في الجعبة الأمريكية ما حدث للمواطن السعودي 'سامي الحصين'! ما حدث للطالب هو إهانة لسمعة الأجهزة الأمريكية المعنية قبل أن يكون إهانة لشخص الطالب أو لزملائه السعوديين أو للسعودية كبلد.. فعندما تتم مداهمة بيوت

الـنـاس هـكذا بكل بساطة دون مراعاة لأبسط حقوق البشر يتحول المجتمع إلى غابة في بلد يفاخر بأنه يحترم حقوق الإنسان.. وقد جرت مداهمات لبيوت الطلاب السعوديين في جامعة آيداهو وتشويه سمعة الطلبة السعوديين عبر تصريحات متسرعة لرئيس الجامعة. يجب ألا يصبح الحادي عشر من سبتمبر ذريعة لمضايقة السعوديين وملاحقتهم.. فإذا كانت الحكومة الأمريكية لا تريد أن يبقى السعوديون في أمريكا فينبغي أن تقول ذلك بصريح العبارة.. وعندها سوف يبحث الطلبة السعوديون عن أماكن أخرى للدراسة.

عبدالواحد الحميد
الرياض ٢٠٠٣/٣/١٧

* * *

وصلت الرسالة: ليس من حقنا!

هل من حقنا أن نأسى على ما يحدث للعراق من خراب ودمار؟ نعم من حقنا. وهل من حقنا أن نتألم لمظاهر القتل والتشريد التي يتعرض لها شعب العراق؟ نعم من حقنا. وهل من حقنا أن نخاف على مستقبل العراق بعد انتهاء الحرب؟ نعم من حقنا. وهل من حقنا أن نحزن على رحيل صدام حسين وزمرته عن الحكم في بغداد؟ لا ليس من حقنا.

لماذا يا ترى سمح العرب لطاغية مثل صدام أن يقوم بمغامراته ضد إيران والكويت وأن يلعب بمقدرات الأمة وثرواتها وأن يُمارس كل أشكال البطش والتنكيل والقتل والتشريد بحق شعبه؟ ألا يدعونا الوضع الراهن إلى معالجة مثل هذه المسألة لمنع طغاة المستقبل في عالمنا العربي من مثل هذه الممارسات الطائشة؟ إذا لم نُصلح بيوتنا من الداخل بإرادتنا نحن فلن يصلحنا الأغراب. ومن العار أن نستجدي الآخرين أو يُجبروننا هم لإصلاح أوضاعنا المزرية والمتردية والمؤسفة.. هل وصلت الرسالة؟

د. عبدالله محمد الفوزان
عكاظ ٢٠٠٣/٣/٢٢

* * *

الأسلمة الشمولية تخنق المجتمع

هل من مصلحة الإسلام أن يغرق المجتمع في أسلمة كل شيء، ويصدر أحكاما شرعية تترصد كل فكرة وحركة وسلوك وعادات اجتماعية وطرائق حياة.. أم إن المصلحة الكلية للإسلام توجب ألا يكون هناك اندفاع في هذا الجانب، ليدع هامشاً كبيراً يتحرك فيه المسلم على سجيته في مجتمعات متنوعة في فضاء هذا العالم بعد أن يهذب بالمفاهيم الكلية للإسلام، ويدرك متطلبات تحقيق إيمانه وعباداته التي تنظم فطرة المسلم؟

الخطاب الإسلامي المعاصر لا يسير باتجاه الأسلمة الحضارية المتسامحة التي تعبر عن سلوكيات وممارسات أي مجتمع يؤمن بالإسلام، وإنما اتجه إلى نمط الأسلمة الفقهية الشرعية الحرفية لتقييد حركة الفرد والمجتمع ومحاصرة السياسي والاقتصادي والإعلامي وغيرها، (وهذا) يسهم في توتير فكر وعقل المسلم، وتلغيم مستقبل المجتمعات المسلمة في خلافات ليست لها نهاية. إنها أسلمة تخنق الإسلام والفكر الإسلامي في زوايا ضيقة مهمَّشة في حركة الحياة نتيجة أوهام الشمولية الخاطئة، وعندما نتتبع بعض المنتج العلمي، وعدد من الكتيبات والخطب والمحاضرات والفتاوى خلال العقدين الماضيين سنشعر بالقلق على مصير الإسلام الذي خنقه بعض أهله بهذه الغلطة التاريخية دون أن يشعروا، فأصبح الإسلام كأنه يترصد بالحياة وفضاءها الواسع.

عبد العزيز الخضر
الوطن ٢٠٠٣/٣/١١

* * *

خطة الإصلاح!!

ترفع للقيادة مطالب الاصلاح بكل الشفافية الممكنة والصراحة الحقيقية، وفق آداب يرعاها المواطن. الاصلاح مطلب القيادة قبل ان يكون مطلب المواطنين. ليست المطالبة بالاصلاح تعني محاكمة لفترات سبقت، واقتضت اجتهادات لتيسير أمور الوطن، وكان لها جدواها في الزمن الذي طبقت فيه، ثم اختلفت الظروف في ظل زمن لاحق فاقتضى ذلك اجتهاد آخر. القيادة تعي ان المطالب التي يتحدث عنها المواطنون هي نتاج تطور ذهني.. لذا فهي تستقبل نتائجه بصدر رحب، وتستمع إلى ما يطالب به المواطن من اصلاح، وترى معه انه قد آن اوانه، وتسعى معه الى ان يتحقق ما يطالب به.

عبدالله فراج الشريف
المدينة ٢٠٠٣/٣/٢٠

* * *

تجار الحرب: هل هناك (غيرهم)؟!

إنتقد مصدر مختص إستغلال بعض الشركات المستوردة للكمامات السماح باستيرادها للسعي لتسويق الأنواع القديمة منها أو ذات المواصفات الرديئة إضافة إلى عرض البعض منها بأسعار استغلالية، واصفاً البعض منهم بـ "تجار الحرب." وتحدث عن جشع "تجار حرب" أبدوا لصحيفة "المدينة" تخوفهم من عدم قيام حرب! المصدر المختص الذي حذر من استغلالهم كان عاقلاً عندما فضل عدم ذكر اسمه، لأنه من الجنون أن يضع نفسه منفرداً في وجه طوفان فضلت وزارة التجارة، وفضلت إدارة الدفاع المدني أن تكونا من ضمن المتفرجين عليه.

قينان الغامدي
الوطن ٢٠٠٣/٣/١٤

* * *

وزير عاجز عن تغيير المناهج

قرأت بتمعن تصريح معالي وزير المعارف بالأمس حول أمنيته أن يأتي قريبا ذلك اليوم الذي تتوحد فيه مناهج التعليم في "المجلس الخليجي." أنظمة التعليم التي تحترم ذاتها تسعى إلى تنمية روح الفردية المطلقة في الطالب لتعطيه ما يريد بالتحديد وما يتفق مع ميوله ومواهبه الذاتية الخاصة، وهنا نسعى بالقوانين والأنظمة لنخلق من كل الأجيال مجرد نسخ مزيدة ومنقحة لنفس "المطبوع." أنظمة التعليم التي تحترم جمهورها لا تجد بها ١٠ مدارس تقدم ذات المنهج وهنا نسعى بما أوتينا من جهد لخلف جيل كامل ينشأ على روح الرأي الواحد وكأنهم مجرد مشاة في استعراض عسكري. كنت أتمنى من معالي الوزير أن يشير صراحة إلى أن وزارته عاجزة عن إحداث التغيير المطلوب في المناهج الدراسية وأنها أيضا لن تقلب صفحة واحدة فيما هو موجود تحت تأثير ذات التيار الذي يظن أن المساس بالمنهج ليس إلا استسلاما لضغوط الغير.

علي سعد الموسى
الوطن ٢٠٠٣/٣/١٣

* * *

رؤية أميركا على الطبيعة

كنا ننظر إلى أمريكا على أنها دولة القانون وهنا القانون لا يتجزأ: سيادة القانون الداخلي مثل سيادة واحترام القانون الدولي.. وكنا ننظر إلى بريطانيا أنها أعرق الديمقراطيات العالمية وأيضاً هنا الديمقراطية لا تمارس بالمزاج السياسي، فتكون ديمقراطياً عندما يتوافق ذلك مع مصالحك السياسية، وتكون تسلطياً عندما تنحرف مصالحك.. وكما قال جورج بوش (سر أبيه) إن فرنسا كشفت أوراقها باستخدامها حق النقض "الفيتو" فإن سر أبيه بوش كشف أمريكا أخلاقياً وقانونياً وتشريعياً عندما قرر مع الإنجليز والأسبان التوجه للحرب خارج نطاق الأمم المتحدة. أمريكا كانت حارساً للقانون والنظام الدوليين وكانت تطالب العالم بالالتزام بهما وضرورة تطبيق الشرعية الدولية، والتوافق مع المجتمع الدولي، وهي الآن كما وصفها وزير خارجية سوريا تمارس سطواً مسلحاً على طريقة الكاوبوي.

عبدالعزيز الجارالله
الرياض ٢٠٠٣/٣/١٩

* * *

بدون التطوير: خائفون على الوطن

عندما تتعرض الأوطان للمخاطر والتحديات، فليس أمام الأمة بكل فئاتها ومؤسساتها وجماعاتها وأفرادها، إلا أن تتحد وتتكاتف في سبيل درء المخاطر وحماية الأوطان. وليس من مصلحة الوطن وأهله أن يختلفوا وهم يواجهون التحديات، حول قضاياهم، سواء كانت سياسية أو فكرية أو اقتصادية أو اجتماعية. لأن جميع القضايا، على الرغم من أهميتها وحيويتها وارتباطها بالحاضر والمستقبل، تظل أقل أهمية من مصير وطن يتعرض للتهديد وربما ما هو أبعد وأعظم من مجرد التهديد؟! والمطلوب هو

التضامن والثبات، والأخيرة لا تعني الجمود، ولكنها تعني عدم التفريط في الثوابت مع التحرك نحو التطوير.. تطوير كل شيء، يجعلنا قادرين على مواجهة التحديات، دونما حاجة إلى وصاية أو نصائح (مغلفة) تأتينا عبر القارات أو على حاملات الطائرات!

محمد أحمد الحساني
عكاظ ٢٠٠٣/٣/٢١

* * *

فرج قريب: سموه مع الإصلاحات!

لم يول الانتباه الكافي لما قاله الأمير سلطان عن الإصلاحات الداخلية (٨ مارس). تعمد سموه الإشارة إلى الإصلاحات فقال 'لا يمكن أن نقول إننا أعطينا شعبنا كما يجب، أو كما نريد نحن بخدماتنا.. ولكن ولي العهد متبن كل إصلاحات وربنا يعينه، وإذا نحن فينا خير نضع يدنا في يده، ونمشي معه بكل قوة وإدراك وثبات في عزيمتنا وفي ديننا.' فالأمير سلطان لم يوجه إليه سؤال بالنص عن الإصلاحات، إنما تحدث عنها في إطار الإجابة عن وسائل تحصين الجبهة الداخلية. وأراد التأكيد أن سموه مع الإصلاحات وليس لديه تحفظات عليها. وما دام الرجل الثاني والثالث في الدولة متفقين على ضرورة الإصلاحات، فإن الأمر يبشر بفرج قريب.

سليمان العقيلي
الوطن ٢٠٠٣/٣/١٤

* * *

تصاعد الجريمة.. لماذا؟

يشهد المجتمع السعودي في هذه الأيام موجة من الجرائم لم يشهدها من قبل في تاريخه القريب وقد يُقال، وهو ما قاله لي أحد الوزراء المسؤولين: إن الذي يحدث ليس انتشاراً للجرائم، وإنما السماح بالإعلان عنها. وهذا الكلام صحيح إلى حد ما. لكننا إذا أخذنا في الاعتبار المستجدات التي طرأت على مجتمعنا في العقدين الأخيرين وخاصة بعد الطفرة سنجد أن هناك زيادة حقيقية وظاهرة للجرائم، وأن هذه الزيادة لا تعود إلى رفع التعتيم كما قال الوزير، ولاسيما إذا أخذنا في الاعتبار السبب في حدوث هذه الجرائم، وهذا السبب واحد رغم اختلاف الجرائم واختلاف هوية وجنسية مرتكبيها وأعمارهم. وهذا السبب هو الفقر ومترادفاته من الفاقة والبطالة والكساد الاقتصادي المصحوب بالتضخم وعدم ظهور حل لذلك.

عابد خزندار
عكاظ ٢٠٠٣/٣/١٦

* * *

إرهابيو ٥ نجوم: نحن من يعيش خارج العصر

عقلية الشباب تعيش عصر الأجيال السريعة للتطور، فيمكن أن تتبدل هذه العقليات وتتطور، ونحن في سبات عميق، على اعتبار أن مفهومنا للأجيال يستغرق ٥٠ عاماً. للأسف هذا المفهوم لا ينطبق على عقليات الشباب اليوم، وحتى لا نخدع، ونفقد السيطرة والتعامل مع الأجيال الحالية والمقبلة، يجب أن نفهم أننا لا نعيش في عصر لجيل مختلف، بل نحن نعيش حقيقة عصر الأجيال المتعاقبة، التي تنمو وتتطور وتنتهي ليأتي غيرها في فترة ٣-٥ سنوات.

إننا نتعامل مع عقليات مختلفة تماماً عن الصورة التي تربينا عليها، أو التي تستطيع عقولنا إدراكها، نحن نتعامل مع وعي شبابي غير مسبوق، وغير معروف لدينا، ولم نستوعبه بعد، نحن للأسف المقصرون وليس هم، نحن البعيدون عن الواقع وليس هم، هم يعيشون عصرهم، ونحن للأسف من يعيش خارج الصلاحية لهذا العصر، ومحاولة تجنب الإجابة المباشرة على الأسئلة المحيرة في عقول الشباب ستفتح أبواباً متعددة للتكهنات، والاجتهادات الخاطئة، التي قد تقودنا إلى المهالك.

هل يمكن للشباب البسيط الذين نراهم في بيوتنا، وفي شوارعنا، و قرانا البدائية، أن يكون منهم إرهابيون على مستوى ٥ نجوم، بل على مستوى تقني، وجرأة، واندفاع لا ينطبق ولا واحد في المئة مع ما نراه من لهو وسذاجة في أول وهلة على الشباب السعودي. ما يعتمل في صدور الشباب، من تساؤلات، وشبهات، ونرده نحن بكلمة أو كلمتين، أو حكمة، أو تعميم، لا يعني أننا نجحنا في الإجابة عليه، وأن الدعوة للتعقل والتذكير بخيرات البلد، وخيرات البيئة التي تربينا فيها، لن تسد جوعة التساؤلات، لأنها ببساطة لا تتوافق مع طبيعة عقليات (هذا) الجيل ولا تتماشى مع إيقاعات العصر المفتوح، الذي علم الشباب أن الوصول للمعلومات مقدور عليه، وميسور، من كل مكان إلا من بلدك، ومن كل قناة، إلا مسؤوليك، ومن كل إعلام إلا إعلامك.

مازن عبد الرزاق بليلة
الوطن ٢٠٠٣/٣/١٥

* * *

أرقام البطالة.. لماذا السرية؟

ما زالت أرقام ونسب البطالة في السعودية غير معلومة بسبب عدم شفافية الجهات المختصة، وكأن الأرقام العالية للبطالة أمر فضائحي معيب. إن التكتم على أرقام البطالة لن يساعد على وضع أسس مواجهة المشكلة. لا يمكن للمجتمع أن يستشعر المشكلة ويهب مع الدولة لمواجهتها، إذا كان التقدير الحقيقي لها غير موجود. والأرقام كلما كانت دقيقة، خاصة إذا كانت كبيرة - وهو ما نتوقعه - ستساعد على إحداث صدمة للمجتمع، تمكنه من العمل الفعال. إن التستر على موضوع البطالة وكأنه سر من أسرار الدولة، أمر مخل بالمصداقية الرسمية في تعاطيها مع المجتمع ومستقبله.

سليمان العقيلي
الوطن ٢٠٠٣/٣/١٥

* * *

خطباء يزرعون التشدد

عشنا ردحاً من الزمن لا نجد في بعض هذه الخطب إلا سرد المبالغات ومسلسل التهويل والإثارة وكيل الشتائم جزافاً شرقاً وغرباً على أصحاب الديانات والملل الأخرى غير مُبالين بمن يعيشون منهم ويعملون بين ظهرانينا وتعدادهم بالملايين. نعم يعملون في بيوتنا ومزارعنا ومطاعمنا ومستشفياتنا وبنوكنا ومصانعنا ومحلاتنا التجارية وكل شبر من أرضنا لم نستثن أحداً معاهداً أو غير معاهد ذمياً أو غير ذمي يتساوى المسالم وغير المسالم، من جاء بعقد أو بغير عقد، مما أكسبنا في النهاية الأعداء من كل جانب والمضايقات في كل مكان في العالم بسبب الكلام المتواصل المنفلت اللامسؤول. والحصيلة بالتالي هي (الشوشرة) على عقول وتوجهات ناشئتنا الأغرار، فغرسنا حب الانتقام والتشدّد والحقد في نفوسهم وسلوكهم تجاه الغير. ولاختلاط الحابل بالنابل وطغيان مفردات الشتم والسبّ ونبرات الغضب، أصبحنا في فترة ما نشدّ الرحال من بيوتنا في وقت مبكر كل جمعة للبحث عن الخطباء الحكماء.

عبدالله الصالح الرشيد
عكاظ ٢٠٠٣/٣/١٤

* * *

شجاعة المثقفين السعوديين

لست ضد بيانات المثقفين السعوديين المتتالية بل أجزم أنها دلالة على ظاهرة صحية تتمثل في تسامح هائل مع حرية إبداء الرأي. لكن المسألة زادت عن الحد وأصبحت قيمة هذه البيانات لا تتعدى الحبر الذي كتبت به. المثقف الحقيقي لا يعطي كلمته من أجل الفزعة، لا يكررها كثيرا. لم تعد لهذه البيانات قيمة مطلقة. أين كان هواة الجري وراء هذه البيانات عندما زج صدام بالعرب في حربه الأولى تحت 'نخوة' حراسة البوابة الشرقية وأين كانوا منه وهو يقتل أطفال حلبجة ونساءها بالكيماوي؟، وأين كانوا منه وهو يقتحم أسوار دولة عربية؟ أين كان هؤلاء المثقفون ولماذا لم يسارعوا في ذلك الوقت بإصدار بيان ممهور بالتواقيع ثم يقومون بتسليمه لسفير صدام في الرياض آنذاك على غرار ما فعلوه مع السفير الأمريكي بالأمس؟ أين كان هؤلاء 'المغيبون' وأين كانت أقلامهم وشجاعاتهم؟ الشجاعة أن تقول الحق دون انتهازية أو ركوب للموجة.

علي سعد الموسى
الوطن ٢٠٠٣/٣/١٨

* * *

ورطة السعودية

المملكة تتعرض لضغط من جانبين:
أولاً: ضغط هائل من الولايات المتحدة الأمريكية بهدف المساهمة في القوة العسكرية والمجهود الحربي الأمريكي وترغب أن يساهم الجيش

والقوة الجوية السعودية في الدخول إلى الأرض العراقية والمساهمة مادياً في تغيير النظام السياسي في العراق. ثانياً: الرأي العام العربي والإسلامي يدفع بأن تقف المملكة ضد الولايات المتحدة باستخدام كل الأوراق التي تحملها حتى تتمكن من منع تحقيق الأهداف الأمريكية في المنطقة.. وينادي البعض باستخدام النفط كسلاح ضد أمريكا، ويرى البعض أن تتخلى المملكة عن تقديم تسهيلات لوجستية.

ينبغي أن نعي كمواطنين هذه الضغوط بكل تفاصيلها وبكل أشكال التطرف التي تفرزها، وبانعكاسات كل واحد منها على المواطن.. ومجرد التعرف سيكون في مقدور الشخص أن يتفهم الحرج والصعوبات والتحديات التي تواجه القيادة السعودية في هذه الأزمة. من المتوقع أن يراوح الموقف السعودي في منطقة وسطى بين هذين الاتجاهين.. وبكل صراحة ينبغي أن نقف ضد التيارات السياسية المتطرفة التي لا تدرك المواقف الحقيقية وراء صناعة القرار السعودي، وأن نقف ضد التهييج الإعلامي وحاملي الشعارات الذين يمكن أن تفرزهم الأحداث.

د. علي القرني
الجزيرة ٢٠٠٣/٣/٢٢

* * *

تخمينات: وزير دون علمه، وآخر يقيله الراديو

تنشط مجالس النخب السعودية في تداول أسماء كثيرة يتم ترشيحها للتشكيل القادم لمجلس الوزراء، فلا يكاد ينعقد مجلس إلا ويكون شأن الوزراء القادمين والراحلين أحد محاوره الرئيسية، وتقال في هذا الصدد الكثير من التحليلات والتأويلات والمبررات حول أسماء مشهورة وأخرى مغمورة يجري ترشيحها للوزارة. أما الوزراء الذين على رأس العمل فإن بعضهم يسمع مثل هذه الأقاويل وأحياناً يسأل عنها ويده على قلبه حيث لا يدري صبيحة يوم ١٤٢٤/٣/٤هـ هل يكون في مكتبه كالمعتاد، أو في منزله يداعب الأحفاد. لا أحد يعلم عن التشكيل إلا بعد أن تعلنه 'واس' حتى الوزراء الجدد لا يعلمون إلا قبل الإعلان بيومين أو ثلاثة ويظلون ساكتين منقطعين عن الناس حتى تؤكد 'واس' حقيقة ما وعدوا به، أما الوزراء المغادرون فإنهم يعلمون برحيلهم بصوت المذيع.

قينان الغامدي
الوطن ٢٠٠٣/٣/١٦

* * *

علي الموسى: فروسية مثقف

أنبه صديقي إلى أنه أحياناً يرتدي ثوباً غير ثوبه، وقبعة لا تليق به، إما تحت وطأة الانفعال، أو رغبة في نيل رضا – ما –، وأود أن أقول له إذا بلغت مثل هذه المرحلة فأنت خير من يعرف أن الصمت – أحياناً – أبلغ من الكلام. أستغرب تساؤل الدكتور علي عن المثقفين السعوديين أين كانوا من صدام فهو يعرف أن أفواههم كانت مملوءة بالماء آنذاك. يقول (أين كان هؤلاء المغيّبون) .. المغيبون كانوا مغيّبين يا دكتور! فهل للسؤال مكان من الإعراب. المثقفون الذين وقعوا البيان الأخير يدركون أن شتيمة أمريكا ليست فروسية وهم فعلاً لم يشتموها إلا إذا كان إعلانهم لرفض سلوكياتها شتيمة! وهل ما كلته لهم في ملحق الرسالة هو الفروسية التي يجب أن تكون من أخلاق المثقفين! إنني واثق أيها الصديق أن قليلاً من التأمل والمراجعة كفيل بأن يجعلك دائماً في ثوبك المعهود، وتحت قبعتك الطبيعية رضي من رضي وغضب من غضب.

قينان الغامدي
الوطن ٢٠٠٣/٣/٢٢

* * *

إشاعات أم حقائق؟

الخارجون على القانون يحاولون إشاعة الفوضى والبلبلة في النفوس، وقد يقصد بها زعزعة الثقة في النظام الأمني أو النظام المالي أو السياسي للدولة أو تشويه سمعة بعض الرموز الفكرية والدينية والثقافية. الذين يمارسون نشر الإشاعات بين فئات المجتمع إما أن يكونوا من الحاقدين الذين يسوءهم نجاح الآخرين أمام فشلهم وعجزهم.. وعدم استطاعتهم تحقيق أي فعل إيجابي ينفعهم وينفع غيرهم.. أو ممن يروق لهم من انتقاص أداء بعض الأجهزة والهيئات المناط بها العمل على خدمة المواطنين والمقيمين كالأجهزة الأمنية والأجهزة الخدمية لإظهارها بمظهر العاجز عن أداء مهامها.

عبد الله الشباط
اليوم ٢٠٠٣/٣/٢٦

* * *

السعوديون والمستقبل

فجأة وفي لحظة عاصفة من الزمن تغير كل شيء وصرنا نسمع عن احداث ونقرأ عن جرائم ونرى حالات فقر وعوز.. بل ان (الحرب) هذا الشيء المهيب والرهيب حدث بجوارنا وكاد أن يداهمنا. هكذا وبين ليلة وضحاها.. صارت عندنا جريمة، وصرنا نعاني من ظاهرة المخدرات، ونفتح مستشفيات لعلاج الادمان، بل انه حتى الارهاب صرنا رمزه الأكبر في العالم وصار مسمى سعودي يثير الرعب في كل مطارات العالم. لماذا حدث كل هذا؟ علينا أن نعترف أن طمسنا للاشياء ومحاولة لملمتها والتستر عليها لم يكن حلاً شافيا ولم يقطع جذورها بل جعلها تتنافى وتتكاثر في الظلام حتى كبرت وصارت شيئاً لا يمكن السكوت عليه والتغاضي عنه. إن قص جذور الجريمة يحتاج الى جهود جبارة من خلال مشروع وطني حقيقي لتهيئة الانسان وخلق البيئة الصحيحة والصحية له والتي لن تتعايش معها الا دولة المؤسسات التي نحن بصدد الدخول لها. فهل نحن فاعلون؟

هاشم الجحدلي
عكاظ ٢٠٠٣/٣/١٦

* * *

هيئة الصحفيين وعوائق الرقابة

أتمنى أن تتبنى الهيئة موقفاً واضحاً ومحدداً من مسألة العقوبات التي تقع على الصحفيين مثل منعهم عن الكتابة كلياً أو موقتاً أو إيقاف بعض مقالاتهم دون سبب معقول. إن الكاتب الصحفي لا يعرف الحدود التي يتحرك خلالها وعدم المعرفة هذا يوقعه في كثير من المزالق فالنظام الصحفي لا يضع قيوداً مسبقة على الكاتب يعرفها ويلتزم بها ولكن هناك قيوداً غير منظورة يختلف الناس كثيراً في معرفتها أو حتى الاقتناع بها، وانظر – إن شئت – إلى صحافتنا فستجد أن بعض رؤساء التحرير يسمح بنشر مقال لا يمكن أن يسمح بنشره رئيس تحرير آخر. أمام هيئة الصحفيين مسؤولية صعبة في توضيح المسموح وغير المسموح في وكذا تحديد جهة واحدة يكون لها الحق في محاسبة الكاتب. إن وجود جهة واحدة يعطي الكاتب الصحفي مساحة واسعة من حرية التعبير كما أنه يمكنه في الوقت نفسه من التعرف على ضوابط تلك الجهة والتكيف معها، أما تعدد الجهات فيجعل السير في دروب الكتابة كثير الصعوبة والمزالق.

محمد علي الهرفي
الوطن ٢٠٠٣/٣/١٨

* * *

المصدر المسؤول.. مسؤول!

لغة التحذير من الشائعات في إعلامنا عند المناسبات لم تتجاوب المفردات نفسها والأفكار لم تؤثر عليها عوامل التقنية، ولا فقه المتغيرات ولا خارطة الوعي العام! شيء من الرتابة والملل يشعر به المواطن من اجترار الوعظ الإعلامي كي يحذر من الشائعة وترويجها عند كل توتر وأزمة بلا إضافة حقيقية تحترم الواقع الفعلي الذي يعيشه المجتمع... فمع أجواء الحرب تظهر بعض الكتابات والتحقيقات والخطب المنبرية المحشوة بكلمات نمطية من قاموس الماضي (أقلام مغرضة وحاقدة/ أصحاب القلوب المريضة/ دعاة الفتن... إلخ) وكأن هذه الأوصاف مكشوفة على جبهة كل واحد متهم بها، يستطيع الفرد العادي رؤيتها! فيتحول هذا الخطاب التقليدي في غموضه وتحذيره من الأشباح إلى مصدر إضافي للتشويش وإرباك العامة يحتاج أن نحذر منه هو الآخر! كلما اهتزت الثقة في مصداقية المصدر الرسمي تضاعفت قوة الثقة في الإشاعة، هذا القانون النفسي... حتمي لا علاقة له بالعواطف الوطنية والمجاملات بل ولا وعي المتلقي.

عبدالعزيز الخضر
الوطن ٢٠٠٣/٣/١٩

* * *

المكانة الفقهية للمدينة المنورة

أحمد محمد نور سيف

احتلت المدينة مكانة مرموقة في العهد النبوي بين سائر الأمصار، فقد شهدت فجر التشريع الإسلامي، وحظيت في تاريخه بمرحلة لم يحظ بها مصر من الأمصار. ولئن كانت دعائم العقيدة قد أرسيت بمكة، فقد كانت المدينة المكان الذي اختاره الله لتنزل فيها جلّ أحكامه وكان الصحب الكرام بها هم الذين تولوا تطبيق هذه الأحكام.

ولكي يحبب عليه الصلاة والسلام الوطن الجديد الى نفوس المهاجرين أصحابه بعد أن هجروا الأهل والأوطان، يقول عليه الصلاة والسلام: (اللهم حبّب إلينا المدينة كحبّنا مكة أو أشدّ)(١).

ويقول صلى الله عليه وسلم: (ما على الأرض بقعة هي أحب إليّ أن يكون قبري بها منها) ـ ثلاث مرات ـ يعني المدينة(٢). ويقول صلى الله عليه وسلم: (اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة)(٣). مع ما جاء في الآثار الكثيرة في فضلها وتقديمها على غيرها(٤).

وإن مجتمعاً عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتربّى فيه على يديه النواة الأولى لخير أمة أخرجت للناس ـ شيوخ وكهول وشباب ونساء وأطفال ـ لهو مجتمع لا يدانيه أي مجتمع آخر، فقد شاهد هذا المجتمع الوحي، وصاحب الدعوة، ولازم الرسول صلى الله عليه وسلم في غدواته وروحاته، وفي يسره وعسره، وفي حربه وسلمه. فكان لهذه الملازمة والصحبة آثار نفسية، ومعان إيمانية، وتعلّق روحي يذيب كل مخلفات الماضي، ويطبع النفوس بتلك التعاليم، في فترة وجيزة لم يعهد لها مثيل في التاريخ.

وبهذا امتاز المجتمع المدني عن أي مجتمع آخر ـ طُعّم بتلك اللبنات ـ بأنه مهما بلغ التأثر بتلك العناصر الوافدة عليه، فلا يمكن أن يبلغ ذلك المستوى الذي عاشت على أرضه تلك الدعوة، وسار على أرضها صاحب تلك الدعوة، ونشأ ذلك المجتمع تحت رعايته وعنايته وتوجيهه. فكيف إذا مازج ذلك حبّ وتعلقّ من ذلك الداعي ـ عليه الصلاة والسلام ـ لتلك الأرض وأولئك الناس، الذين عاشوا حوله وقاسموه الآمال والآلام.

يقول ابن تيميه في كتابه (صحّة أصول مذهب أهل المدينة): (معلوم أن من كان بالمدينة من الصحابة هم خيار الصحابة؛ إذ لم يخرج منها احد قبل الفتنة إلا وأقام بها من هو أفضل منه، فإنه لما فتح الشام والعراق وغيرهما أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى الأمصار من يعلمهم الكتاب والسنّة، فذهب الى العراق عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعمّار بن ياسر، وعمران بن حصين، وسلمان الفارسي وغيرهم؛ وذهب الى الشام معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وبلال بن رباح وأمثالهم؛ وبقي عنده مثل عثمان وعلي بعد الرحمن بن عوف، ومثل أبي بن كعب، ومحمد بن سلمة وزيد بن ثابت وغيرهم. وكان ابن مسعود وهو أعلم من كان بالعراق من الصحابة إذ ذاك يفتي بالفتيا، ثم يأتي المدينة فيسأل أهل المدينة، فيردونه عن قوله، فيرجع إليهم.

وكان أهل المدينة فيما يعملون: إما أن يكون سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإما أن يرجعوا الى قضايا عمر بن الخطاب، ويقال: إن مالكا أخذ جل الموطأ خ عن ربيعة، وربيعة عن سعيد بن المسيب، وسعيد بن المسيب عن عمر، وعمر محدّث. وفي الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر، وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أن قال: كان في الأمم قبلكم محدّثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر. وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر.

وكان عمر يشاور أكابر الصحابة كعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ـ أهل الشورى ـ ولهذا قال الشعبي: انظروا ما قضى به عمر فإنه كان يشاور. ومعلوم أنه ما كان يقضي أو يفتي به عمر ويشاور فيه هؤلاء، أرجح مما يقضي أو يفتي به ابن مسعود أو نحوه رضي الله عنهم أجمعين. وكان عمر في مسائل الدين والأصول والفروع إنما يتبع ما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يشاور علياً وغيره من أهل الشورى، كما شاوره في المطلقة المعتدة الرجعية في المرض إذا مات زوجها: هل ترث؟ وأمثال ذلك. فلما قتل عثمان، وحصلت الفتنة والفرقة، وانتقل علي الى العراق، هو وطلحة والزبير، لم يكن بالمدينة من هو مثل هؤلاء، ولكن كان بها من الصحابة مثل سعد بن أبي وقاص وأبي أيوب، ومحمد بن مسلمة وأمثالهم من هو أجل ممن مع علي من الصحابة.

وقد ضعف أمر المدينة لخروج النبوة منها؛ وقوي أمر أهل العراق لحصول علي فيها، لكن ما فيه الكلام من مسائل الفروع والأصول قد استقر في خلافة عمر. ومعلوم أن قول أهل الكوفة مع سائر الأمصار قبل الفرقة أولى من قولهم وحديثهم بعد الفرقة. قال عبيدة السلماني ـ قاضي علي رضي الله عنه ـ: رأيك مع عمر في الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك في الفرقة. ومما يوضّح الأمر في ذلك، أن العلم إما رواية، وإما رأي؛ وأهل المدينة أصح أهل المدن رواية ورأياً)(٥). وهم في مبدأ الشورى يتأسّون بالنبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو هريرة رضي الله عنه: (ما رأيت أحداً كان أكثر مشاورة لأصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم)(٦). وذلك امتثالاً منه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: (وشاورهم في الأمر)(آل عمران ١٥٩).

واحتذى أصحابه هذه القاعدة من بعده، ورأوا في الشورى قوة في الحيطة في الدين، والأخذ بأقرب الأمور الى السنة والآثار فيما يجدّ لهم من أمور، فعُرف هذا

المنهج عند الصحابة والتابعين(٧). وقد كانوا يرون أن المشورة والرأي يجب أن يصدر منها، فلا يقطع في رأي دون أهل الرأي من أهلها. ولذا حين أراد الفاروق رضي الله عنه في موسم الحج أن يعنف ويزجر من خاض في أمر الخلافة، قال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: (لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس، وهم يغلبون على مجلسك، وأخاف ألا ينزلوها على وجهها، وأمهل حتى تقدم دار الهجرة ودار السنة، فتخلص بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، فيحفظوا مقالتك، وينزلوها على وجهها)(٨).

فابن عوف رضي الله عنه يقرر بذلك أموراً عامة وخاصة في أمر الشورى، وينبّه على مكانة المدينة وأهلها من الدين والمعرفة وبخاصة أهل الشورى. وتلقي المشورة من الفاروق محلها مما يؤكد أهمية ما أشار به ابن عوف رضي الله عنه، وهذا النص يلفت الأنظار الى أمور هي:

أولاً: أن أهل المشورة الذين يجب أن يرجع إليهم في أمور الأحكام الشرعية إنما هم أهل الحل والعقد والفقه المكين، ومن هم على التقى والصلاح والإخلاص لله ورسوله، والعلم بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم، وبما ورثوه عنه من علم ودراية وفقه. وأعلم كذلك بأحوال الناس، والعرف القائم المعتبر شرعاً، والمصلحة القائمة على جلب المصالح ودرء المفاسد.

ثانياً: أن المشورة هذه لا يرجع فيها الى رعاع الناس وجهلتهم، لأنهم هم الغالبية العظمى في المحافل، يتبعون كل ناعق، ويروجون لكل فتنة، وهذه الغوغائية تقود الأمة الى البلبلة، لأنها تتبع أهواء متفلتة لا تحتكم الى الشرع.

ثالثاً: أما شؤون الحياة الأخرى التي تتوقف عليها مصالح الأمة، فيستشار من أهلها من يوثق بأمانته وخبرته في كل اختصاص، وبخاصة في الأمور التي تحتاج عند التماس الحكم الشرعي دراية بما يعرفه أهل الإختصاص في كل فن من فنون الحياة، فالإعتماد على مشورتهم في ذلك معين ومسدد لدقة الأحكام وتوافقها مع درء المفاسد وجلب المصالح.

رابعاً: أن المدينة في ذلك العهد كان لها من المكانة العلمية أوفر نصيب من جهة النقل ومدارك العقل، ولذا حين كتب عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان الى عبد الله بن عمر يسألانه المشورة، كتب إليهم: إن كنتما تريدان المشورة فعليكما بدار الهجرة والسنة(٩).

خامساً: أن الأمصار الأخرى لم يتحقق لها ما تحقق للمدينة، فقد كان هذا الإرث يتوارثه أهل العلم علماً وعملاً. فكان في المدينة من كبراء الصحابة والتابعين الجم الغفير. وكان من ثمرات هذا الإعداد نخبة من الصحابة والتابعين وأتباعهم أشادوا صرح الفقه المدني، وتميزت بجهودهم معالمه.

أصحاب الفتوى من الصحابة

وكان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبا بكر وعمر وعلياً وابن مسعود وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأبا موسى الأشعري رضوان الله عليهم أجمعين(١٠). بل منهم من كان يفتي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر(١١). وعن الشعبي قال: (كان العلم يؤخذ عن ستة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان عمر وعبد الله وزيد يشبه علمهم بعضهم بعضاً، وكان يقتبس بعضهم من بعض، وكان علي وأبي بن كعب والأشعري يشبه علمهم بعضهم بعضاً، وكان يقتبس بعضهم من بعض)(١٢). وكان لكل من هؤلاء ولغيرهم من كبار الصحابة مكانة بوأهم إياها فقه، وعلم، وإحاطة بالسنة، وبأقضية الرسول صلى الله عليه وسلم، ومدارك لم تتوفر للآخرين. يقول ابن مسعود رضي الله عنه في عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لو وضع علم عمر في كفة، ووضع علم أحياء العرب في كفة، لرجح بهم علم عمر). ويقول صلى الله عليه وسلم: (إن كنا لنحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم)(١٣). ويقول عبد الله بن مسعود في علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (كنا نتحدث أن من أقضى أهل المدينة ابن أبي طالب)(١٤). أما زيد بن ثابت رضي الله عنه فكان من الراسخين في العلم(١٥)، وكان عمر يستخلفه في كل سفر، وإذا كثر عليه الخصوم، صرفهم الى زيد، ثم استعمله على القضاء، وفرض له رزقاً(١٦). وقال علي بن المديني: (لم يكن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد له أصحاب يفتون بقوله في الفقه إلا ثلاثة، وذكر فيهم زيد بن ثابت)(١٧).

وصارت الفتوى بعد عثمان رضي الله عنه الى ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وجابر بن عبد الله. وآخر من كانت له هذه المكانة بالمدينة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، الذي عرف بشدّة تتبعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قدوة لهم. قال يحي بن إسحاق: (سألت سعيد بن المسيب عن صوم يوم عرفة، فقال: كان ابن عمر لا يصومه، قلت: هل غيره؟ قال: حسبك به شيخاً)(١٨).

الطبقة الأولى من فقهاء التابعين

وتربى على يد هؤلاء كبار التابعين من الفقهاء السبعة وغيرهم. وعرف من هؤلاء التابعين من تخصص في الوقوف على قضايا اولئك الصحب، والإحاطة بمروياتهم، فقيل: (ليس أحد أعلم بكل ما قضى به عمر وعثمان من سعيد بن المسيب)(١٩)، وكان يقال: (إن ابن المسيب راوية عمر)(٢٠) لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته(٢١)، وقال عن نفسه: (ما بقي أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر منّي). قال مسعر: (وأحسبه قال: وعثمان وعلي)(٢٢). وكان أعلم الناس بحديث عائشة عروة وعمرة والقاسم(٢٣). وقبيصة كان أعلم الناس بقضاء زيد بن ثابت(٢٤). واحتيج إليهم في عهد الصحابة، فقد تصدر البعض للإفتاء وأصحاب رسول الله أحياء(٢٥) هؤلاء وغيرهم ممن عرف بالفقهاء السبعة، كانت تدور عليهم الفتوى(٢٦) ومن كبرائهم: سعيد بن المسيب (١٥-٩٤هـ/ ٦٣٦-٧١٢م). كان سعيد أعلم من بالمدينة، فعن عمر بن ميمون قال: (قدمت المدينة، فسألت عن أعلم أهل المدينة، فدفعت الى سعيد بن المسيب). ويقول قتادة: (ما رأيت أحداً قط أعلم بالحلال والحرام منه). وطاف مكحول بالأرض كلها في طلب العلم، فما لقي أعلم منه. وكان الحسن إذا أشكل عليه شيء كتب الى سعيد بن المسيب. ولسعة علمه بالسنّة يقول ابن المديني: (إذا قال سعيد: مضت السنة فحسبك به)(٢٧). وكان عمر بن عبد العزيز لا يقضي قضاءً حتى يسأله(٢٨).

الطبقة الثانية من فقهاء التابعين

وعن هذه الطبقة أخذ مالك الفقه، وعلى يديهم تعلم وتفقه، وقد شاركت هذه الطبقة الطبقة الأولى وعاصرتها، وأخذت عن بعض الصحابة لكن جلّ ما أخذته كان عن الطبقة الأولى. وأخذت مكانتها في المجتمع المدني في الربع الأخير من القرن الأول حتى بداية الربع الثاني من القرن الثاني،

حيث بدأت مكانة مالك في الظهور تأخذ مكانها وتقوى، حتى غطت على مكانة الآخرين من بقية الشيوخ والأقران المعاصرين.

ويصور لنا جانباً من حركة انتقال هذه الثروة الفقهية عبر مشيخة علماء المدينة، حميد بن الأسود، وعلي بن المديني. يقول حميد: (كان إمام الناس عندنا بعد عمر زيد بن ثابت، وبعده عبد الله بن عمر)(٢٩). ويقول ابن المديني: (وأصحاب زيد بن ثابت الذين كانوا يأخذون عنه إثنا عشر رجلاً - فذكرهم)(٣٠). ولم يكن بعد هؤلاء بالمدينة أعلم بهم من ابن شهاب، ويحي بن سعيد، وأبي الزناد، وبكير بن عبد الله بن الأشج، ثم لم يكن أحد أعلم بهؤلاء بمذهبهم من مالك بن أنس(٣١).

والشيوخ من هذه الطبقة كثيرون، والمبرزون منهم، والذين كانت لهم مكانة في الحديث أو الفقه أو الفتوى بصفة خاصة، أجلهم: ابن شهاب الزهري (٥١-١٢٤هـ/ ٦٧١-٧٤١م): وكان آية في الحفظ ووعي ما سمع، فما استودع قلبه علماً فنسيه، وما استعاد حديثاً قط، وما شك في حديث، بل حديثاً واحداً، سأل صاحبه عنه، فإذا هو كما حفظ(٣٢). كما كان شديد التتبع للآثار وجمعها. قال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم: (قلت لأبي: بم فاقكم ابن شهاب؟ فقال: كان يأتي المجالس من صدورها، ولا يلقى في المجلس كهلاً إلا ساءله، ولا شاباً إلا ساءله، ثم يأتي الدار من دور الأنصار، فلا يلقى شاباً إلا ساءله ولا كهلاً ولا عجوزاً ولا كهلة إلا ساءله، حتى يحاول ربات الحجال). وقال أبو الزناد: (كنا نكتب الحلال والحرام، وكان الزهري يكتب كل ما سمع، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس)(٣٣). وعن الليث قال: (ما رأيت عالماً قط أجمع من الزهري). ويقول عنه عمر بن عبد العزيز: (لم يبق أحد أعلم بسنَّة ماضية من الزهري)(٣٤). قال معمر: (وإن الحسن وضرباءه لأحياء يومئذ)(٣٥).

صلة مالك بآثار هذه المدرسة

كان مالك بن أنس أعلم أهل المدينة بتلك الثروة العلمية، حديثاً وفقهاً. يقول ابن المديني: (نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة: - فذكرهم - ثم صار علم هؤلاء الستة الى أصحاب الأصناف ممن صنف، ولأهل المدينة مالك)(٣٦). ويقول: (أخذ عن زيد بن ثابت ممن كانوا يفتون بفتواه إثنا عشر رجلاً ممن لقيه منهم، ومن لم يلقه، فذكر الفقهاء السبعة وسالم بن عبد الله، وأبا سلمة بن عبد الرحمن، وقبيصة بن ذؤيب، وأبان بن عثمان، وطلحة بن عبد الله بن عوف، ونافع بن جبير بن مطعم)(٣٧). ثم قال: (ولم يكن بالمدينة بعد هؤلاء أعلم بهم من بن شهاب، ويحي بن سعيد، وأبي الزناد، وبكير بن عبد الله بن الأشج، ثم لم يكن أحد أعلمهم بهؤلاء بمذهبهم من مالك بن أنس(٣٨).

قيام مالك بهذه المدرسة أصولاً وقواعد: قال ابن تيمية: (لا ريب عند أحد أن مالكاً رضي الله عنه أقوم الناس بمذهب أهل المدينة رواية ورأياً، فإنه لم يكن في عصره ولا بعده أقوم بذلك منه. كان له من المكانة عند أهل الإسلام - الخاص منهم والعام - ما لا يخفى على من له بالعلم أدنى إلمام، وقد جمع الحافظ أبو بكر الخطيب أخبار الرواة عن مالك فبلغوا ألفاً وسبعمائة أو نحوها، وهؤلاء هم الذين اتصل الى الخطيب حديثهم. ولما سئل الإمام أحمد عن حديث مالك ورأيه وحديث غيره ورأيهم، رجح حديث مالك ورأيه على حديث أولئك ورأيهم. وهذا يصدق الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة، وقد روي عن غير واحد، كابن جريج وابن عيينة وغيرهما أنهم قالوا: هو مالك.

ومن تدبر أصول الإسلام وقواعد الشريعة، وجد أصول مالك وأهل المدينة أصح الأصول والقواعد، وقد ذكر ذلك الشافعي وأحمد وغيرهما. والناس كلهم مع مالك وأهل المدينة، إما موافق وإما منازع. فالموافق لهم عضد ونصير، والمنازع لهم معظم لهم مبجل لهم عارف بمقدارهم. وما تجد من يستخف بأقوالهم ومذاهبهم إلا من ليس معدوداً من أئمة العلم. وذلك لعلمهم أن مالكاً هو القائم بمذهب أهل المدينة، وهو أظهر عند الخاصة والعامة من رجحان مذهب أهل المدينة على سائر الأمصار. فإن موطأه مشحون إما بحديث أهل المدينة وإما بما اجتمع عليه أهل المدينة، إما قديماً وإما حديثاً. وأما مسألة يتنازع فيها أهل المدينة وغيرهم، فيختار فيها قولاً ويقول: هذا أحسن ما سمعت)(٣٩).

ما اعتمده في مناهج الإستدلال: واعتمد في تأسيس مناهج الإستدلال على فقه هذه المدرسة وأصولها، فكانت قواعد مذهبه هي:

أولاً: الكتاب والسنة، واعتمد في السنة ما كان منها مسنداً أو مرسل ثقات، وكان لإمامته في نقد الرجال أثر في دقة الإختيار.

ثانيا: إختياره أقضية عمر رضي الله عنه(٤٠)، وذلك لأن رأيه كان موافقاً للوحي والتنزيل غالباً، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى في المنام أنه شرب اللبن، وأعطى عمر فضلة، وعبره بالعلم(٤١). ولهذا السبب في أغلب الأحيان كان يحصل الإجماع من الصحابة على قضايا عمر.

ثالثاً: اختياره فتاوى ابن عمر وعمله، وذلك لأن أكابر الصحابة شهدوا له بالإستقامة وتفوقه على سائر الصحابة الذين بقوا بعد الفتنة في هذا الأمر. قال حذيفة: (لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم توفي، وما منا أحد إلا وتغير عما كان عليه، إلا عمر، وعبد الله بن عمر). وقال مالك: (قال ابن شهاب: لا تعدلن عن رأي ابن عمر، فإنه قام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين سنة، فلم يخف عليه شيء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه). وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (ما رأينا ألزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر). هذه الآثار وغيرها أخرجها الحاكم(٤٢). ومما يدل على استقامة ابن عمر عدم مداخلته في الفتن فإنه بايع علياً رضي الله عنه بشرط ألا يقاتل مسلماً، ورضي علي كرم الله وجهه بهذا الشرط ومن أجل ذلك تخلف ابن عمر عن حروبه. قال نافع: (إن ابن عمر دخل الكعبة، فسمعته يقول في السجدة: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك).

رابعاً: اعتماده فتاوى سائر الصحابة.

خامساً: اختياره فتاوى فقهاء التابعين بالمدينة. أما اختياره لذلك، فلأنها روح البلاد وقلب الأمصار وكان العلماء يأتونها زماناً بعد زمان ويعرضون آراءهم على أهلها، ولأنه كانت عندهم علوم منقحة لا توجد عند غيرهم وشيوخ مالك كلهم من أهل المدينة إلا ستة(٤٣).

سادساً: لم يكن اعتماد مالك في تأصيل قواعد مذهبه على أقوال السابقين وفتاواهم مجردة، بل لاحظ الأصول التي سار عليها المجتهدون في الفقه المدني ومن

هــذه الأصــول الــذرائــع، وعــمــل أهــل المدينـة(٤٤). فتراه يـلـحـظ بـاب الذرائـع، ويتوسع فيه، ويعلل الأحكام به. كما جعل من عمل أهل المدينة أصلا يعتمد عليه فيقول في باب ما لا يجوز من السلف: (الأمر المجتمع عليه عندنا، أن من استسلف شيئاً من الحيوان بصفة وتحلية معلومة فإنه لا بأس بذلك، وعليه أن يرد مثله، إلا ما كان من الولائد، فإنه يخاف في ذلك الذريعة الى إحلال ما لا يحل، فلا يصلح. وتفسير ما كره من ذلك، أن يستسلف الرجل الجارية فيصيبها ما بدا له، ثم يردها الى صاحبها، فذلك لا يصلح ولا يحل، ولم يزل أهل العلم ينهون عن ذلك، ولا يرخصون فيـه لأحد)(٤٥). فتراه يـبـنـي الحكم على إجماع أهل المدينة ويعلله بالذريعة(٤٦).

هذان الأصلان وغيرهما مما استخرجه علماء مذهب مالك من فروعه التي نقلت عنه، ووجدوا أن هذه الفروع متفرعة عن تلك الأصول لأنها كانت القواعد التي يسير عليها في استنباطه. ولا يعني كون الإمام لم يذكرها مبوبة مدللاً عليها، مفردا بالتأليف، أنها لم تكن موجودة، أو لم يعتمد عليها من قبله، فهي ككل علم من العلوم، توجد أصوله وقواعده مفرقة مبثوثة بين العلماء، ثم يأتي منهم من يدونها ويرتبها ويدلل على كل فرع منها. وهذا هو الذي فعله الإمام الشافعي في كتابه (الرسالة) حيث دون الأصول ورتبها واحتج لكل نوع منها، ولا يعني ذلك أنه هو الذي وضع تلك الأصول أو أنه ابتدعها من عنده. ولو كان الأمـر كـذلك، لما رد بـعـض هـذه الأصـول وناظر فيها، واحتج على من أخذ بها لو لم تكن أصولاً معروفة مطروقة. فقد رد الإستحسان ورد على مالك اعتباره إجماع أهل المدينة، كما تحاشى القول بالذريعة وأقام لنفسه مذهباً مستقلاً، كان ثمرة من ثمرات هذه المدرسة.

ولمكانة المدينة الروحية والعلمية، وقيام دعائم الدولة الإسلامية بها، ومقام النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بها، وما توارثه أبناؤهم وأحفادهم من شرف الزمان وقرب المكان أثر في ارتباط هذا الفقه بالعمل المشاهد المتواتر، والذي كانت له ثمرة كبيرة في تمييز هذا المذهب وقيام مالك ونشره، مما جعله مذهباً يحتكم إليه في دور القضاء في حياة صاحبه، حيث قامت به دولة الأندلس، وأفريقية، بما لم يتهيأ لغيره من المذاهب الأخرى. واستطاع فقهاؤه بما ورثوه من رواية وعمل وأصول متنوعة أن يسايروا ركب الحضارة ويمدوها بما تحتاج إليه فيما يعرض لحياة الناس من نوازل.

وهكذا لاقى مذهبه ومذهب الأئمة الثلاثة رضوان الله عليهم إقبالاً وقبولاً واستطاعوا أن يقدموا للأمة الإسلامية وللأمم الأخرى أعظم ثروة فقهية(٤٧)، قام عليها صرح الحضارة الإسلامية بما لم يعرف تاريخ الأمم والشعوب.

الهوامش:

(١) مالك بن أنس الأصبحي، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، جـ٢ (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م)، ٤٦٢.

(٢) أحمد بن محمد العسقلاني بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تصحيح محب الدين الخطيب، كتاب فضائل المدينة، جـ٤ (بيروت: دار المعرفة)، ٧٠.

(٣) ابن حجر، المرجع السابق، ٦٩/٤.

(٤) ابن حجر، المرجع السابق، ٦٢/٤

(٥) تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، صحة أصول فقه أهل المدينة، نشر: زكريا علي يوسف (مطبعة الإمام)، ٢٨ وما بعدها.

(٦) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، جـ ١٠ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠)، ١٠٩.

(٧) البيهقي، المرجع السابق، ١١٤، ١١٥؛ أبو عبد الله محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، مصورة عن طبعة ليدن بهولندا، جـ ٢/٢ (طهران: منشورات مؤسسة النصر)، ١٠٠.

(٨) ابن حجر، مرجع سابق، كتاب الإعتصام، ١٦.

(٩) القاضي عياض بن موسى بن عياض البستي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، جـ ١ (المغرب: مطبعة الشمال الأفريقي، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٥)، ٣٩.

(١٠) ابن سعد، مرجع سابق، ١١٠/٢/٢

(١١) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، المفاضلة بين الصحابة، تحقيق سعيد الأفغاني، ط٢ (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٩)، ٢٣٩.

(١٢) أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي، العلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (دمشق: المطبعة العمومية، ١٣٨٥هـ)، ٩٤؛ ابن سعد، مرجع سابق، ١١٠/٢/٢.

(١٣) ابن سعد، مرجع سابق، ١١٠/٢/٢؛ النسائي، مرجع سابق، ٦٠-٦١.

(١٤) ابن سعد، مرجع سابق، ١١٠/٢/٢

(١٥) ابن سعد، مرجع سابق، ١١٦/٢/٢

(١٦) أبو زيد عمر بن زيد عبيدة بن شبة، كتاب تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم محمود شلتوت، جـ٢ (المدينة المنورة: على نفقة حبيب محمود أحمد لوجه الله تعالى، د. ت) ٦٩٣.

(١٧) علي بن عبد الله بن جعفر المديني، العلل، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط٢ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٠) ٤٢.

(١٨) ابن سعد، مرجع سابق، ١١٦/٢/٢؛ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك: مناقب ابن عمر، مصور عن الطبعة الأولى، جـ٣ (الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٤هـ) ٥٥٩.

(١٩) ابن سعد المرجع السابق، ١٢٩/٢/٢

(٢٠) ابن سعد المرجع السابق، ١٣٠/٢/٢

(٢١) ابن سعد المرجع السابق، ٨٩/٢/٢

(٢٢) ابن سعد المرجع السابق، ١٢٨/٢/٢

(٢٣) أحمد بن محمد العسقلاني بن حجر، تهذيب التهذيب، مصور عن الطبعة الأولى، جـ٧ (بيروت: دار صادر) ١٢٨.

(٢٤)ابن حجر، مرجع سابق، جـ٥، ٨٩.

(٢٥) ابن سعد المرجع السابق، جـ٥، ١٠٤

(٢٦) ابن حجر، مرجع سابق، جـ٧، ٢٤.

(٢٧) ابن حجر، مرجع سابق، جـ٧، ٨٤-٨٦

(٢٨) ابن سعد المرجع السابق، جزء ٥، ٩٠

(٢٩) القاضي البستي، مرجع سابق، جـ١، ٧.

(٣٠) بلغ المعدودون ثلاثة عشر رجلاً.

(٣١) ابن المديني، مرجع سابق، ٤٤-٤٥

(٣٢) أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، ط٤، مصورة عن الطبعة الأولى (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ١١١. هذا ربما كان كما يعتقد، وإلا فقد نسي ما حدث به سليمان بن موسى، وقال لابن جريج حيث سأله: (لا أعرفه).

(٣٣) ابن حجر، مرجع سابق، جـ٠، ٤٤٨-٤٤٩

(٣٤) الذهبي، مرجع سابق، ١٠٩.

(٣٥) ابن حجر، مرجع سابق، جـ ٩، ٤٤٩.

(٣٦) ابن المديني، مرجع سابق، ٣٧؛ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، مقدمة الجرح والتعديل (الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧١هـ) ١٧، ٣١.

(٣٧) ابن المديني، مرجع سابق، ٤٤-٤٥

(٣٨) ابن المديني، مرجع سابق، ٤٥؛ الرازي، مرجع سابق، ٢٢.

(٣٩) ابن تيمية، مرجع سابق، ٥٣-٦٢.

(٤٠) لا يرد على اختياره أقضية عمر مخالفته له في بعض المسائل، لأنها إذا قيست بما أخذ به كانت قضايا معدودة، وغالباً ما خالفه فيها معه الجمهور. أحمد نور سيف، مرجع سابق، حجج المعترضين على العمل - حجج الشافعي - ٣٦٩.

(٤١) ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، جـ٧، ٣٢.

(٤٢) النيسابوري، مرجع سابق، جـ٣، ٥٥٧ وما بعدها.

(٤٣) شاه ولي الله الدهلوي، المسوى من أحاديث الموطأ، المقدمة، تحقيق: أحمد بن عبد الرحيم (مكة: المطبعة السلفية، ١٣٥١هـ) ٣٠-٣٢.

(٤٤) بلغت هذه الأصول عند مالك سبعة عشر أصلاً. حسن بن محمد مشاط، الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة، تحقيق: عبد الوهاب ابن ابراهيم أبو سليمان (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠) ١١٥

(٤٥) الدهلوي، مرجع سابق، جـ ٢، ٦٨٢-٦٨٣

(٤٦) الذريعة معناها: الوسيلة وسد الذريعة: رفعها، وكل وسيلة حكمها بما تفضي إليه من حل أو حرمة. أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي، الفروق، جـ ٢ (بيروت: مصورة عالم الكتب) ٣٣.

(٤٧) أورد السيد عبد الله حسين في كتابه المقارنات التشريعية ما يثبت أن معظم مواد القانون الفرنسي مقتبسة من الفقه المالكي.

* البحث منشور في مجلة (موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة) العدد التجريبي ٢٠٠٢م.

شرّ البلّية ما يضحك

مع القتل وضد التماثيل!

الإسلام دين العالمية، والدولة الاسلامية يمكنها احتواء أهل الذمة من أهل الكتاب وبرّهم ومراعاتهم ما داموا لايؤذون المسلمين. ولكن الدولة الإسلامية لا تقبل ولا تحتوي الفرق المنتسبة للاسلام وهي خارجة عنه مثل الشيعة والفرق الخارجة عن جماعة المسلمين وتؤذي المسلمين مثل الأكراد.. وها هي الأيام تثبت أنهم من أعدى أعداء الأمة، وأن قتلهم واجب وفيه الخير للأمّة، ولا لوم على صدام مهما صنع بهم. فهل يلام على ما صنع في الشيعة والكرد والمنافقين من الأعراب آل صباح؟ أنا شخصياً معه فيما صنع بهم وضدّه في حكاية صوره وتماثيله في كل مكان.

سلفي سعودي، عن منتدى القلعة

لماذا لا يُسلم الكافر؟

مالذي يجعل الكافر في القرن العشرين يفكّر بالإسلام الفقهي وهو يرى المسلمين وقد فشلوا ليس من تجربة واحدة ولا من نازلة واحدة ولا من فاجعة واحدة ولا من حرب واحدة ولا من حكومة طاغية واحدة.. فشلوا أن يتقدموا خطوة واحدة إلى الأمام. مالذي يرجوه كافر معاصر، من دخول إسلام فقهي لم ينتج إلاّ مئات الجوعى والقتلى والمشردين واللاجئين، وملايين الخاملين والعاطلين، وملايين الصور والواقعات لإقتصاد وتنمية وتعليم لم ينتج إلاّ طوابير من الفقراء والمتسولين والأميين؟. كيف سيدور بخلد الكافر المعاصر أن يسلم وهو يعلم إنتهاكات المسلمين دولاً وافراداً ومجتمعات لكرامة الانسان، وحرية الانسان، وحقوق الإنسان.

علي بشار ابو غيلان، عن منتدى محاور السلفي

الصحاف.. مجدّد السنّة

محمد سعيد الصحاف، مجدّد أهل السنّة في هذا العصر. ها هو يصب قذائف الحق وشهب القمع بأمر الله على رؤوس الفرنجة (ولا تقل الصليبيين، فإنها كلمة محدثة فيها تشبه بالكفار). ووالله لقد انشرح صدري عندما سمعته يكرّر كلام السلف ويجدّده في زمن هجره. فخذ أيها السلفي هذه العبارات ولا تحسبها لأحمد بن حنبل أو البربهاري، كلا.. ولكنها لمجدد هذا العصر محمد سعيد الصحاف (لله دره): العلوج، المرتزقه، الأنذال، أعداء الله، جحوش الإستعمار، وما أدراك ما جحوش الإستعمار، والله ما أطربتني كلمة مثلما أطربتني هذه الكلمة التي ألقيت في روع هذا المجدد. فتشبيه المخالفين بالحيوانات الرديئة هو مذهبنا الذي استقرّ عليه العمل لدى العلماء الكبار. فانظروا كيف كان الشعبي يقول عن الرافضة أنهم لو كانوا من الحيوانات لكانوا حمراً، وقارنوها بقول هذا المجدد عن جحوش الاستعمار، لتعلموا أن محجّة السلف لازالت صالحة لكل زمان ومكان!

عن موقع محاور السلفي السعودي

عبث الكرة والصواريخ

تشهد العاصمة السعودية عرساً رياضياً يشرّفه نائب العاهل السعودي بينما يعلم الله ماذا سيكون حال شعب العراق، وماذا سيحدث لغادة الدنيا وعاصمة دول الاسلام بغداد؟ فعلى نغمات فوهات البنادق ونيران الصواريخ يخرج شباب السعودية إحتفالا بفوز فريقهم بالكأس ويمارسون الشغب والعبث بكل أنواعه ولست بصدد الحديث عنه، ولكني بصدد السؤال لماذا يحرّم العلماء المظاهرات الإحتجاجية على حال المسلمين ولماذا تقمع المظاهرات بينما هذه العبثية تمارس عياناً بياناً وبإشراف السلطات الأمنيّة؟

عن موقع الساحة السلفي السعودي

حين يتذكّر الديكتاتور شعبه وقت الغرق

الآن يتذكر الديكتاتور الشعب. أين كنت منذ عشرات السنوات؟ توالى التركيز في خطابات الديكتاتور العراقي الأخيرة على الشعب: ينتخي به ويطلب منه الدفاع والقتال والاستماتة. ولكن من نسي الشعب طوال عقود من الزمن، كيف يتذكره الآن؟!

من استلب خيرات هذا الشعب له ولعائلته وعشيرته المقرّبة وحرسه الخاص.. كيف يتذكره الآن؟

ومن جعل هذا الشعب الذي يمتلك البترول والماء والارض الزراعية العظيمة، شعباً فقيراً معوزاً.. كيف يتذكره الآن؟!

ومن أدخل هذا الشعب في حروب خاسرة متتالية، كيف يتذكره الآن؟

ومن جعل الإعدامات والتصفيات ديدناً، ومن ابتكر أقسى أنواع التعذيب، ومن حوّل العراق الى سجن كبير، ومن هجّر أكثر من أربعة ملايين مواطن.. كيف يتذكر الشعب الآن؟

ومن رمى شعبه بالأسلحة الكيماوية.. ومن أعدم عشرات العلماء والمفكرين والسياسيين من هذا الشعب، كيف يتذكره الآن؟

إنه إيمان بالشعب وقت الغرق.. إيمان بالشعب بعد فوات الأوان.

فارس محمد قرشي، عن منتدى الوسطية السلفي

شرّ البليّة ما يضحك

تساءل عراقي: هل بوش قريب لبلير؟ فأجاب آخر: لا، هذا من عائلة العلوج، وذاك من الأوغاد.

وتقول نكتة تتردد في الشارع العربي أن الأمير عبد الله عندما سمع أن الحرب ترتكز على القرار ١٤٤١، تساءل: هل هو هجري أم ميلادي؟

وفي الأردن خرج سكان الطفيلة في مظاهرات وهم يهتفون: لا للحرب على العراق.. الأردن أولاً!

وفي القاهرة احتجت فيفي عبده بشدّة على الانفجارات التي تهز "وسط" بغداد.

وفي سورية أرسل سكان حمص رسالة تحذير الى بوش تقول: سنعتبر أي اعتداء على سورية اعتداء على حمص.

اما أحدث نكتة فكانت عندما صرح إعلامي كويتي لتلفزيون الجزيرة قائلا: إن العراقيين تعلموا من الكويتيين فن المقاومة.

وفي ألمانيا يتساءلون: ماذا نسمي الهدف الذي يضعه فريق في مرماه في مباريات كرة القدم؟ مقدم البرامج التلفزيونية هارالد شميدت يرد: إنها نيران صديقة.

ولا تتوقف السخرية عند أبطال الحرب بل يتعدى ذلك الى دوافعها، فموضوع أفضل نكتة متداولة في سويسرا حالياً هي أن الخطة لما بعد الحرب جاهزة، والعراق سيقسم الى ثلاث مناطق: بنزين عادي، وبنزين سوبر، وبنزين خال من الرصاص .

اليونانيون لا يزالون يتذكرون أيضاً دعم الولايات المتحدة للحكم الدكتاتوري العسكري (١٩٦٧ـ ١٩٧٤) ويتناقل السكان نكتة تقول أن طائرة تقل بوش وبلير تحطمت، فمن يكون الناجي من الحادث؟ والجواب هو العالم بأسره.

ونشرت صحيفة أزفستيا الروسية في اليوم الأول من أبريل كذبة نيسان: الرئيس العراقي صدام حسين أعلن إسقاط طائرة بريطانية، لكن بوش ينفي ويؤكد أن الأمريكيين هم الذين أسقطوها.

عن منتدى طوى

إبراهيم بن عبدالله الكتبي

هو إبراهيم بن عبد الله بن محمد نور الـكـتـبـي المكّي الحنـفـي، المحدّث، المدرس بالمسجد الحرام. ولد سنة ١٢٦٣هـ في عائلة مشهورة بالعلم والفضل، فوالده هو العلامة الفقيه عبد الله بن محمد نور الكتبي المكي أحد علماء الحرمين الشريفين، أدركته المنية في بلاد الهند رحمه الله. وعندما بلغ الشيخ إبراهيم سن التعليم حفظ القرآن الكريم وجوّده، مع إتمامه لبعض القراءات، ثم درس أولاً على يد والده مبادئ العلوم الدينية، ثم طلب منه أن يسمح له بالسفر الى العراق لطلب العلم فسمح له بالسفر فسافر وعمره أربعة عشر عاماً، فوصل الى العراق واتجه الى بغداد، وفيها تلقى العلوم على أيدي العلماء المشاهير بها، حتى أصبح من فريدي تلاميذهم، إذ مكث عندهم عدة سنوات حتى نال منهم الإجازة في بث العلم ونشره، ثم عزم على السفر والعودة الى مكة المكرمة عن طريق المدينة المنورة، فمكث بالمدينة عاماً واحداً، وأخذ بها عن جهابذة علماء المسجد النبوي الشريف ونال إجازتهم، ثم قدم مكة المكرمة وطاف بحلقات المسجد الحرام يتلقى من علماء المسجد الحرام، ومن مشايخه فيها الشيخ أبو بكر خوقير والشيخ عبد الله سراج مفتي الحنفية بمكة المكرمة والشيخ المهاجر إمداد الله التهانوي، ثم المكي والمحدث عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي، والشيخ محمد ناصر الحازمي، والشيخ عبد الرزاق البيطار، وعن السيد المحدث جعفر الكتاني، وقد نال الإجازة منهم في عهد الدولة العثمانية.

تصدّر للتدريس بالمسجد الحرام وكانت حلقته بباب السلام يدرّس فيها الحديث والتفسير والفقه وغير ذلك من العلوم. اعتزل التدريس سنة ١٣٤٣هـ لكبر سنه، وكان من أبرز تلامذته الشيخ محمد ياسين الفاداني والشيخ إسحاق قاري مدير المدرسة الفخرية بمكة المكرمة، والشيخ نواب علي وغيرهم.

كانت له عناية بالرواية منذ صغره الى آخر عمره، فكان يروي عن كبار المسندين. ترجم له الأستاذ محمد جميل كتبي في كتابه (رجال من مكة المكرمة) العاصمة المقدسة بقوله: (وجدي الشيخ العالم الفاضل إبراهيم محمد عبد الله كتبي فهو من مواليد الهند في زمن الإستعمار الإنجليزي وقبل تقسيمها الى باكستان والهند وسيلان، وولد رحمه الله في بلده (فيض آباد) في شهر صفر من عام ١٢٧٥هـ التابعة في الوقت الحاضر للحكومة الهندية، ولوجود القلاقل والمصادمات بين المسلمين والهندوس وعدم استقرار الأمن آنذاك، فقد سمح له والده بالسفر من الهند لطلب العلم والمعرفة وأن ينهل من العلوم واللغة العربية ودراسة أصول الفقه للتمشي بالكتاب والسنة من البلدان العربية، فسافر جدي الشيخ إبراهيم من بلدته وهو يبلغ الرابعة عشرة من عمره وذلك عام ١٢٨٩هـ، واتجه شمالاً الى أفغانستان، ومن أفغانستان الى إيران فالعراق، واتجه الى العاصمة العراقية بغداد) .. الى أن قال: (درس الكثير من العلم والمعرفة حتى نال الإجازة من أولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني في بث ونشر العلم والمعرفة، وطلب منهم الرخصة في السفر فمنحوه الإجازة في التدريس وأجازوا له السفر).

وأضاف: (وشدّ جدّي رحاله مع القوافل المتجهة من بغداد الى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج والعمرة، ثم عاد مرة أخرى الى المدينة المنورة وبقي مقيماً فيها عاماً، ثم رجع الى مكة المكرمة، واتخذها مقرّاً له).

وكان الشيخ إبراهيم كتبي يستورد الكتب من المملكة المصرية آنذاك، وكان يبيع الكتب بالجملة والإفراد، وقال: (وجدتُ أن الشيخ أبو المحاسن وجيه الدين ابن الإمام المحدّث المسند محمد ابن الفقيه المجدابي زيد عبد الرحمن بن محمد زين الدين الشهير الكزبري هو أحد المشايخ الذين درس على يدهم جدي الشيخ إبراهيم كتبي، فلقد ورد إسمه ضمن قائمة تلاميذ الشيخ الكزبري، وذلك في كتاب: ثبت الكزبري، ويليه إتحاف السري بأسانيد الكزبري لمؤلفه الشيخ أبي الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكّي الصادر عن دار البصائر بدمشق. أما مؤلف تشنيف الأسماع فقد أورد ترجمه تشبه في مضمونها ترجمة الشيخ إبراهيم كتبي مع اختلاف في تاريخ الولادة والوفاة، فأنس كتبي أثبت تاريخ ولادته سنة ١٢٦١هـ، وتاريخ وفاته سنة ١٣٦١هـ، مع عدم ذكر مكان الولادة، وزهير كتبي أثبت تاريخ ولادته سنة ١٢٧٥هـ من مواليد الهند في بلدة (فيض الله آباد) وتاريخ وفاته سنة ١٣٦٨هـ بمكة المكرمة. ومؤلف تشنيف الأسماع قال في ترجمته: إبراهيم بن عبد الله بارشاه الدهلوي المكّي الكتبي، الأستاذ المعمّر الناسك المسند الدهلوي ثم المكّي الحنفي، ولد رحمه الله بدهلي في ١٩ رجب ١٢٥١هـ وطلب العلم صغيراً على علماء الهند، ثم قدم مع والده في سنة ١٢٦١هـ الى مكة المكرمة لأداء الحج، ولقي في عامه هذا العلامة المسند عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري.. واختار لنفسه بعد مدة الجلوس بمكة المكرمة لجوار الكعبة المشرفة، وحمل أهله الى الحجاز من الهند.... ورحل الى العراق والشام ومصر، وكان مجتهداً في تحصيل العلم وطلبه بالجد والنشاط مع العناية بعلم الحديث خاصة، واستفاد بمكة كثيراً من المهاجر المرشد الإمام إمداد الله التهانوي، ووروى عن عبد الله سراج مفتي الحنفية بمكة المركمة والشيخ أبو بكر خوقير، والمحدث عبد الغني ابن يابي سعيد الدهلوي، والشريف محمد بن ناصر الحازمي، وعبد الرزاق البيطار والسيد جعفر بن إدريس الكتاني وخلائق غيرهم. كان عالماً صالحاً ورعاً يتكلم العربية الفصحى، له عناية فائقة قلّ نظيرها في الكتب، ولذلك لقب بالكتبي، وكان له دكان يبيع فيه الكتب يقصده الطلاب للإستفادة والإرشاد والأخذ عنه. وقد عمّر الى فوق المائة بثلاث سنوات، فتوفي رحمه الله بمكة المكرمة في ١٨ رمضان ١٣٥٤هـ)(١).

الهوامش:

(١) كتبي، أنس يعقوب. في ملحق ألوان من التراث بالمدينة، العدد ٩٥٩٥ في ١٤١٤/٣/٩هـ، ص٣، وفي ولادته سنة ١٢٦٣هـ ووفاته ١٣٦١هـ.
كتبي، زهير محمد جميل. رجال من مكة المكرمة - العاصمة المقدسة، جـ٣، ص ١١٠-١١٣، وتاريخ ولادته ١٢٧٥هـ، ومكان الولادة في بلده (فيض الله آباد) في الهند، ووفاته سنة ١٣٦٨هـ بمكة المكرمة.
أبو سليمان، محمود سعيد، تشنيف الأسماع، جـ٢٠، وفيه تاريخ الولادة سنة ١٣٥١هـ ومكانها بدهلي، وتاريخ الوفاة ١٣٥٤هـ.
الفاداني، محمد ياسين بن محمد عيسى. قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين الشريفين، جـ١، ص ١٠، وفيه: المعمر الشيخ إبراهيم بن عبد الله بارشاه الكتبي، العلامة، المحدّث الأصولي اللغوي، المعمر الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله بارشاه بن يار محمد بن فضل اله الدهلوي ثم المكي، الملقبّ باللحياني لكبر لحيته، وبالكتبي أيضاً لأنه كان يبيع الكتب في دكانه بمحلة القشاشية بمكة المكرمة.

الحجاز المخيف والمخيفة

منذ أن صدرنا ونحن نواجه بانتقادات لاذعة لا تصيب محتوى المجلة بالضرورة، ولكنها تصبّ في اتجاهات مختلفة.

انتقدنا كثيرون لأن إسم المجلة لم يعجبهم، فكلمة (الحجاز) تؤذي بعض الآذان المناطقية والطائفية الصمّاء.. لا تؤذيها كلمة (الرياض) و (اليمامة) مثلاً وهما جريدة يومية ومجلة أسبوعية، ولا تشعر آذانهم بغير السعادة البالغة من إطلاق إسم (نجد) على إحدى مجلاتهم. أنى اتجهت - حتى في الديار الحجازية المقدسة - ستجد إسم نجد يتكرر بالأضواء واللافتات العريضة: فندق نجد، ومطعم نجد، وشوارع عديدة في كبرى المدن الحجازية سميت بأسماء القرى النجدية، وشخصيات نجد الدينية والسياسية. كل هذا مقبول، أما إسم الحجاز فهو مزعج لإحساس المناطقيين القابضين على السلطة، والذين اخترعوا إسماً جديداً للحجاز: المنطقة الغربية، حتى ننسى إسم بلادنا وجغرافيتها لصالح الأسمى والأعلى (نجد)!

(الحجاز) مزعجة لا شك، لأنها تذكّرهم بدولة الحجاز التي اختطفوها وجعلوا أهلها أذلّة ومواطني درجة ثانية.

و(الحجاز) مزعجة لأنها تنطوي على محاولة للفكاك من الإستعباد المناطقي والطائفي الذي يتخفّى وراء مزاعم وحدوية وفرية (العقيدة الصحيحة).

و(الحجاز) مزعجة لأنها تدعو الى الصلاح والإصلاح والمساواة والحرية، وهم يرون في هذه المفردات نهايتهم أو نهاية لاستبدادهم واحتكارهم للسلطة السياسية والإقتصادية والدينية والعسكرية.

هم لا يريدون أن يتذكروا بأن هناك تاريخاً حجازياً مستقلاً عنهم. وشخصيات حجازية غير شخصياتهم، ورموزاً دينية استعصت على القتل، وتراثاً متنوعاً ومتميزاً ضارباً في عرض التاريخ يختلف عمّا يدرسوننا إياه ويربون أجيالنا عليه.

و(الحجاز) مزعجة، لأنها تعيد الى أذهان الطغاة والمستبدين منهم، أن دولة ابتلعت بين ليلة وضحاها لاتزال تسبب مغصاً شديداً لا تستطيع المعدة المناطقية الطائفية أن تهضمه بآليات القرون الوسطى.

حين يقرؤون (الحجاز)، فإنما يقرؤون فشلهم في بناء دولة حديثة. لا تعنيهم التحليلات العميقة التي تحتويها شيئاً بحيث تردهم عن طغيانهم ويستفيدون من الأفكار التي تحتويها في إصلاح شأنهم.

هم لا يقرؤون إلاّ أنها مجلة لا تعبّر عن رأيهم، رأي الأقلية المهيمن على مقدرات شعب يختلف معظمه عنهم طباعاً وفكراً ومنهجاً وطموحاً وإرادة.

هم لا يريدون الإصلاح، وبذا تكون (الحجاز) خطيرة، لأنها تفتح الملف التالي الناجم عن فشلهم، وهو أن دولتهم هم لا يمكن أن تستمر الى الأبد بدون إعادة هيكلتها.

وفشلهم هذا يجعل الطريق الى تفكيك ملكهم العضوض أمراً حتمياً.

هم لا يقبلون بأنصاف حلول.. لا يقبلون بالمواطنة والمساواة وحرية التعدد والإختيار. إنهم لا يؤمنون إلا بالفرض، وإلا بالإثرة، وإلاّ بالتمايز عن الآخر، وإلاّ باعتبار الدولة ملكاً خصهم الله به، وإلا بالنظر الى بقية الشعب كأجير يخدم استبدادهم ويذلّ رأسهم له.

(الحجاز) تقول لهم .. لا!

ليس هذا طريق الوحدة، وليس هذا طريق المحافظة على الدولة الموحدة، وليس هذا ما يمنع الإنهيار والتقسيم.

(الحجاز) تقول لهم.. إن لم يستطع الضحايا أن يغيّروا المعادلة كلّها، فهم قادرون على قلب الطاولة على رؤوس الجميع. وأن الزمن الذي تغير والذي لا يريد الإعتراف به دعاة الطائفية والمناطقية والهيمنة، لن يجعل منا أن نتخلّى عن هويتنا الحجازية لصالح أي هويّة أخرى غير هويّة وطنيّة نتساوى فيها مع الآخرين. وإذا لم يقبلوا بالهوية الوطنية واستحقاقاتها، فلن يجدوا منّا إلاّ دفاعاً عن هويتنا الحجازيّة نتمترس بها دفاعاً عن أنفسنا وأهلينا ومصالحنا ومستقبل أجيالنا.

بها نتحصّن من جور المستبدين، وبها نواجه المناطقيين، وبها نرفض هوية الطائفيين وإن كانوا في مرحلة سابقة منتصرين.

مجلة الحجاز تثير شجونهم وألمهم، وهي تثير شجون الكثير من الضحايا أيضاً. إن لم يجدوا فيها إلاّ لحناً إنفصالياً فهذا قدرهم، وما جنته أيديهم.. وإن وجدوا فيها توقاً للمساواة الوطنية فهذا يشكل بداية لصلاحهم وصلاح مجتمعهم الذي نحن منه.

مضحكةٌ مبكيةٌ.. معركةُ الخليجْ
فلا النِّصالُ انكسرتْ على النصالْ
ولا الرجالُ نازلوا الرجالْ
ولا رأينا مرّةً آشورَ بانيبالْ
فكلُّ ما تبقّى لمتحفِ التاريخْ
أهرامُ من النِّعالْ!

* * *

مَنِ الذي ينقذنا مِنْ حالةِ الفصامْ؟
مَنِ الذي يُقنعُنا بأنّنا لمْ نُهزمْ؟
ونحنُ كلّ ليلةٍ
نرى على الشاشاتِ جيشاً جائعاً
وعاريا
يشحذُ منْ خنادق الأعداءِ
(ساندويشةً)
وينحني.. كيْ يلثمَ الأقدامْ!

* * *

لا حربنا حربٌ ولا سلامُنا سلامْ
جميعُ ما يمرُّ في حياتنا
ليس سوى أفلامْ
زواجنا مرتجلٌ
وحبُّنا مُرتَجَلٌ
كما يكونُ الحبُّ في بدايةِ الأفلامْ
وموتُنا مُقرّرٌ
كما يكونُ الموتُ في نهايةِ الأفلامْ!

* * *

لمْ ننتصرْ يوماً على ذبابةٍ
لكنّها تجارةُ الأوهامْ
فخالدٌ وطارقٌ وحمزةٌ
وعقبةُ بن نافع
والزبيرُ والقعقاعُ والصمصامْ
مكدّسونَ كلّهمْ.. في عُلَبِ الأفلامْ

* * *

هزيمةٌ .. وراءَها هزيمةٌ
كيفَ لنا أنْ نربحَ الحربَ
إذا كان الذين مثّلوا
صوّروا .. وأخرجوا
تعلّموا القتالَ في وزارةِ الإعلامْ!

* * *

في كلّ عشرينَ سنه
يأتي إلينا حاكمٌ بأمرهِ
ليَحْبِسَ السّماءَ في قارورةٍ
ويأخذَ الشمسَ الى منصّةِ الإعدامْ!

* * *

في كلّ عشرينَ سنه
يأتي إلينا نرجسيٌّ عاشقٌ لذاتهِ
ليدّعي بأنّهُ المهديُّ .. والمنقذُ
والنقيُّ .. والتقيُّ.. والقويُّ
والواحدُ .. والخالدُ
ليرهنَ البلادَ والعبادَ والتراثْ
والثرواتِ والأنهارِ
والأشجارِ والثمارِ
والذكورِ والاناثِ

والأمواجِ والبحر
على طاولة القمارْ..
في كلّ عشرينَ سنه
يأتي إلينا رَجُلٌ مُعَقّدٌ
يَحْمِلُ في جيوبهِ أصابعَ الألغامْ

* * *

ليسَ جديداً خوفُنا
فالخوفُ كانَ دائماً صديقُنا
من يومِ كُنّا نُطْفَةً
في داخلِ الأرحامْ

* * *

هَلِ النظامُ في الأساسِ قاتلٌ؟
أمْ نحنُ مسؤولونَ
عنْ صناعةِ النظامْ؟

* * *

إنْ رَضيَ الكاتبُ أنْ يكونَ مرّةً ..
دجاجة
تُعاشرُ الدّيوكَ أو تبيضَ أو تنامْ
فاقرأْ على الكتابةِ السلامْ!

* * *

للأدباءِ عندنا نقابةٌ رسميةٌ
تُشبهُ في شكلها
نقابةَ الأغنامْ!

* * *

ثمَّ مُلوكٌ أكَلوا نساءَهُمْ
في سالفِ الأيّامْ
لكنّما الملوكُ في بلادنا
تَعَوّدوا أنْ يأكلوا الأقلامْ

* * *

ماتَ ابنُ خلدونَ الذي نَعْرِفُهُ
وأصبح التاريخُ في أعماقنا
إشارةَ استفهامْ!

* * *

هُمْ يقطعونَ النَّخْلَ في بلادنا
ليزرعوا مكانهُ
للسيّدِ الرئيسِ
غاباتٍ من الأصنامْ!

* * *

لمْ يَطْلِبِ الخالقُ منْ عبادهِ
أنْ ينحتوا لهُ
مليونَ تمثالٍ منَ الرُّخامْ!

* * *

تَقَاطَعَتْ في لحمنا خناجرُ العروبة
واشتبكَ الإسلامُ بالإسلامْ

* * *

بَعْدَ أسابيعَ منَ الإبحارِ في مراكبِ
الكلامْ
لمْ يَبْقَ في قاموسنا الحربيِّ
إلاّ الجِلْدُ والعظامْ

* * *

طائرةُ الفانتومِ
تنقضُّ على رؤوسنا

مقتلُنا يَكْمُنُ في لساننا
فَكَمْ دَفَعْنا غالياً ضريبةَ الكلامْ

* * *

قدْ دَخَلَ القائدُ بعدَ نصرهِ
لغرفةِ الحَمّامْ
ونحنُ قدْ دخلنا لملجأِ الأيتامْ!

* * *

نموتُ مجّاناً كما الذبابُ في أفريقيا
نموتُ كالذبابْ
ويدخلُ الموتُ علينا ضاحكاً
ويُقْفِلُ الأبوابْ
نموتُ بالجملةِ في فراشنا
ويرفضُ المسؤولُ عن ثلاجةِ الموتى
بأنْ يُفَصّلَ الأسبابْ
نموتُ.. في حربِ الشائعات
وفي حربِ الإذاعاتِ
وفي حربِ التشابيهِ
وفي حربِ الكناياتِ
وفي خديعةِ السّرابْ
نموتُ.. مقهورينَ.. منبوذينَ
ملعونينَ.. منسيينَ كالكلابْ
والقائدُ الساديُّ في مخبئهِ
يُفَلْسِفُ الخرابْ!

* * *

في كلّ عشرينَ سنه
يجيئُنا مهيارْ
يحملُ في يمينهِ الشمسَ
وفي شمالهِ النّهارْ
ويرسمُ الجنّاتِ في خيالنا
ويُنزلُ الأمطارْ
وفجأةً.. يحتلُّ جيشُ الرّومِ كبرياءنا
وتَسْقُطُ الأسوارْ!

* * *

في كلّ عشرينَ سنه
يأتي امرؤُ القيسِ على حصانهِ
يَبحثُ عنْ مُلْكٍ منَ الغبارْ

* * *

أصواتُنا مكتومةٌ.. شِفاهُنا مكتومةٌ
شُعوبُنا ليستْ سوى أسْفَارْ
إنّ الجنونَ وَحْدَهُ
يَصنَعُ في بلاطنا القرارْ

* * *

نكذبُ في قراءةِ التاريخْ
نكذبُ في قراءةِ الأخبارْ
ونقلبُ الهزيمةَ الكبرى
الى انتصارْ!

* * *

يا وطني الغارقُ في دمائهِ
يا أيّها المطعونُ في إبائهِ
مدينةٌ مدينةْ
نافذةٌ نافذه
غمامةٌ غمامةْ
حمامةٌ حمامة

الحجاز - Microsoft Internet Explorer



File Edit View Favorites Tools Help

Address http://www.alhijazi.org/ Go

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثار

- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات





كيف يحقق إنقسام السكان وحدة السلطة السعودية

في تقريرها الصادر هذا العام (2002) كتبت شركة بي إف سي (Petroleum Financing Company) بأن ليس هناك ما يمكن وصفه بـ (مجتمع سعودي) وانما الصحيح قوله هو مجتمعات متعددة. ويرى التقرير بأن الانقسامات الداخلية على قاعدة مذهبية (سنة وشيعة) او مناطقية (نجد وحجاز وربما بدو وحضر) أو قبلية تحقق ضمانات أكيدة حيال أي ثورة وطنية، وأن أسوأ التحديات التي تواجه السلطة حسب التقرير ستكون في الغالب ذات طابع محلي أي مناطقي.

ينبّه التقرير الى قضية على درجة كبيرة من التعقيد وهي ان انتظام المناطق والجماعات في وحدة سياسية موحدة هي المملكة العربية السعودية لم ينتج عن انصهار جماعي اختياري بل نشأ على أساس استتباع قهري والحاق قسري لهذه المناطق والجماعات.

وحتى قيام الدولة على أساس غلبوي في بدايات تكوينها لا يدحض الحاجة لاحقاً الى اعادة صهر ودمج في بنية الدولة الجديدة، تطوي مرحلة القهر والاستتباع وتوفر قناعات جديدة للملحقين الجدد بجدوى الانتماء لهذه الدولة.

تركي الحمد:
السعودية معتقلة وتواجه أزمة وجود

مقالة الكاتب والمفكر السعودي الدكتور تركي الحمد في الشرق الاوسط في الثالث من ديسمبر الجاري تضمنت جزئياً على الأقل لغة تبريرية لما اعتبر خروجاً غير مألوف عن النسق المعتاد لأحاديث الامير نايف ضد الأخوان بما يعزز ما ذهب اليه الكاتب حين أراد تحميل الاخوان الازمة التي تعيشها المملكة هذه الايام و(أنها مسؤولة عن عنق الزجاجة الذي تجد السعودية نفسها فيه الآن) وهي أزمة (تفوق في شدتها أكثر الأزمات السابقة التي مرت بها البلاد) حسب الدكتور الحمد. فعبارات كهذه تميل الى تعضيد موقف الامير نايف من جماعة الاخوان.

ولكن ما يقف خلف هذا الموقف هو الأهم. فالدكتور الحمد يستعرض صورة الاوضاع الاقتصادية والسياسية للدولة السعودية، فالوضع الاقتصادي يبدو ضعيفاً والاداء السياسي والاداري يعاني من بطء في الحركة والمرونة (ومن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أصبحت السعودية محط أنظار العالم في كل تفصيل من تفاصيل حياتها).

معوقات الديمقراطية في المملكة العربية السعودية

الحجاز في أول الكلام

قد يؤكد عنوان المجلة انطباعات متضاربة تبعاً للانشدادات الفكرية والسياسية والانتماءات الايديولوجية المتباينة للقراء الكرام. ولعل من ابرز الانطباعات المتوقعة هو ما يستند فيها على النظر الى المجلة من زاوية التمثيل المناطقي بايحاءاته الانقسامية. وهذه النظرة غالباً ما تتعزز في ظل دول تحتضن جماعات متعددة من حيث انتماءاتها الجغرافية واصولها الاجتماعية وموروثها التاريخي والثقافي، وقد تتسع النظرة الى حد اعتبار المجلة كصوت ناشز في الدائرة الوطنية. هذه الهواجس مهما بلغ حجمها لا يمكن تبديدها غالباً بادعاءات سبقية أو مزاعم نظرية قبل خوض امتحان التجربة.

متشددون يهدمون قبر ومدرسة السيد علي العريضي العلوي

جرافات ومعدات هدم عديدة قامت صباح يوم الأثنين الموافق 2002/8/12م بالتجهيز لهدم مسجد السيد علي العريضي (766-825م). وكانت اتصالات قد جرت بكبار المسئولين في الحكومة السعودية والمؤسسة الدينية لمحاولة إيقاف هدم هذا المعلم الأثري والديني الهام، ولكن بعض المتشددين من رجال الدين قاموا في مساء ذات اليوم بهدم المسجد وتسويته بالأرض. وكان هذا المسجد وملحقاته إلى ما قبل حوالي خمسين سنة مركزا إسلاميا مهما لتدريس الدروس الدينية وكان يحتوي على مكتبة عامة كبيرة تحوي عشرات الآلاف من الكتب والمصادر الرئيسية للدارسين والباحثين في الدراسات الإسلامية.

حلم لازال يراود البعض:

Done Internet